الثقافة

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

العدد التاسع – السنة الثالثة
شباط (فبراير) ١٩٦١

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ـ ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

العدد التاسع
شباط (فبراير) ١٩٦١
السنة الثالثة

لغتنا الكاملة

بقلم: الاستاذ شفيق جبري

في (أخبار البحتري) للصولي أن الواثق أنفذ ابن الترجمان الى ملك الروم بهدايا ، قال ابن الترجمان: وافقت لهم عيدا ، فرأيتهم قد علقوا في باب بيتهم كتبا بالعربية منشورة ، فسألت عنها ، فقيل : هذه كتب المأمون بخط أحمد بن أبي خالد الاحول ، استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا .

وفي هذه الاخبار ان سليمان بن وهب كتب كتابا الى ملك الروم في أيام المعتمد ، فقال ملك الروم : ما رأيت للعرب شيئا أحسن من هذا الشكل ، وما أحسدهم على شيء حسدي اياهم عليه ، والطاغية لا يقرأ الخط العربي وانما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه . ـ

وقد حضرت مؤتمر الثقافة الاسلامية في جامعة « برنستن » سنة ١٩٥٣ فجرى البحث عن تبديل الحروف العربية بالحروف اللاتينية فقال أحد الاساتذة الاميركان :

« يجب المحافظة على الحرف العربي بالنظر الى محاسنه ولا يجوز التفكير في تبديل الكتابة العربية » . ـ

أفليس من أعجب العجب أن تصدر مثل هذه الآراء عن جماعة من الاعاجم وان نفكر نحن في تبديل الكتابة العربية حينا وفي الاستغناء عن لغتنا حينا آخر . ـ

ما الذي كان يفتقر اليه ملك الروم من أنواع الزخارف في قصوره ، ما الذي كان يفتقر اليه في كنائسه من ضروب الزينة والنقش والصور والنحت وأشغال الفن كله ، أم ما الذي كان يفتقر اليه قومه من حسن الذوق واتقان الصنعة ، ومع هذا كله لم يستطع ملك الروم وقصوره وكنائسه قد ملئت بروائع الفن أن يكتم اعجابه بالخط العربي ، باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه . ـ

أفليس من غرائب الامور أن نستكر محاسن الحرف العربي وأن ندعو الى تبديله وهو جزء من فنه الرائع ، ولم تقتصر الدعوة على تبديل الحروف العربية وانما امتدت الى تبديل لغتنا كلها لانها عقيمة من جهة ولانها لا تتسع لتفكير هذا العصر من جهة ثانية . ـ

أفليس عجيبا ان يقول فيلسوف مثل « رنان » انه لا يعرف لغة تكاملت في سرعة لا نظير لها مثل لغة

العرب وأن نهدم نحن لغتنا لتحل محلها لغة أجنبية •ـ

من الآراء آراء لا يجوز الاخذ والرد فيها فان الزمن وحده يقضي عليها ، ولا خوف من استفاضتها فانها غير مبنية على قواعد متينة فهي ستذوب كما يذوب الملح في الماء ، والرأي القائل بتبديل الكتابة العربية وبالاستغناء عن لغة العرب داخل في جملة هذه الآراء فليس من العقل في شيء أن نجادل فيها فان مثلها كمثل الزبد الذي يذهب جفاء ولا يمكث في الارض الا ما ينفع الناس • ـ

يقول « ديشانيل » في كتابه : اللغة الفرنسية : قيمة اللغة على قدر ما تعطيه ، فهي تموت اذا لم يكن فيها شيء نافع تعطيه الناس ، انها لا تستحق الحياة الا بسلطانها المعنوي الذي تبسطه على العالم والا بخدمتها لهذا العالم » • ـ

اذا صح هذا القول ، وكله صحيح فان قيمة لغة العرب عظيمة لانها أعطت البشرية أشياء كثيرة ، أعطت قسما كبيرا من هذه البشرية في خلال الاحقاب التي تعاقبت عليها فلسفة وعلما واجتماعا ، واذا كنا نجهل ذلك فلنسأل تاريخ عصر الظلمات في اوروبة لقد اهتدى ذلك العصر بهدى لغة العرب واستضاء بضياء فلسفتهم واسترشد برشد علومهم • ـ

لم تمت لغة العرب وانما همدت بعض العصور ، فقد ضاع سلطان أهلها زمنا من الازمان وانبسط سلطان الاعاجم عليها فوقفت ولم تدرج ، الا انها لم تمت في وقوفها فقد ظلت الحياة كامنة في جذورها حتى طلع عليها العصر الحديث فقدر الله رجال ذابوا في محبتها وفنوا في الاخلاص لها واستنفدوا مجهودهم في بعثها من مرقدها ، وفي مقدمة هؤلاء الرجال المخلصين اليازجي الكبير وابنه الشيخ ابراهيم • ـ

انها لغة عجيبة ، أصيبت بمصائب شتى على توالي السنين ، صارعتها لغات كثيرة ولكن هذه اللغات ذهبت بين سمع الارض وبصرها وبقيت هي وحدها خالدة على وجه الدهر ، استقبلت فلسفة وعلوما فخلقت لها مصطلحات ووضعت لها ألفاظا وأنشأت لها أساليب خاصة حتى عمت هذه الفلسفة وهذه العلوم وحتى دخلت في الاذهان وامتزجت بالعقول • ـ

لما طلع عليها العصر الحديث بعلومه وفلسفته وأدبه جارت هذا العصر وسايرت هذه العلوم وهذه الفلسفة وهذا الادب ، ففي كل يوم نرى مصطلحات جديدة وألفاظا جديدة وما هذا كله الا آية من آيات حياتها وبرهان من براهين بقائها ولو تتبعنا نشأتها الاولى وصحبناها في انتقالها من البدو الى الحضر لرأينا قوة هذه الآية وهذا البرهان فكيف نقول انها عقيمة وهي لم تعجز عن تصوير ما ولدته العقول من فلسفة وعلم وأدب، كيف نقول انها لا تتسع لتفكير هذا العصر وقد اتسعت لفلسفة اليونانيين وحكمة الهند والفرس • ـ

هل نشأت اللغات الحية كالانكليزية والفرنسية والالمانية وغيرها كاملة من أول أمرها فلماذا استطاعت هذه اللغات ان تتسع لفلسفة هذا العصر ولعلومه ولحضارته ولم يقل أحد من أبنائها بتبديل حروفها او بالاستغناء عنها على ان لغة العرب قد رزقت من الاستعداد لاستيعاب ما ينشأ عن الفكر والشعور والذوق ما لم ترزقه لغة ثانية ، وهذه أبواب النحت والاشتقاق والتعريب شاهدة على ذلك فلماذا نثور على لغتنا وقد حصنت بمثل هذه الآلات • ـ

اننا نعلم ان اللغة التي لا يزيد غناها قليلا في كل يوم تفتقر وتنضب ، واننا نعلم ان كتابنا في القديم لم يجهلوا ذلك ولو رجعنا الى امام البلغاء وهو الجاحظ لوجدناه في كتاب البخلاء يأنس بمصطلحات العامة وبعض لغتها ، واننا نعلم ان اللغة اذا انحصرت في ناحية واحدة سكنت حركتها فلا بد لها من تتبع مذاهب الفكر والا نفدت مادتها فكلت وهلكت • ـ

اننا نعلم هذا كله ونحن واثقون بأن لغتنا لن تنفد مادتها ولن تكل أو تهلك ، واذا استطاعت أن تعيش في ماضيها فهي تستطيع أن تعيش في حاضرها ومستقبلها ، يقولون ان لغتنا تعجز عن الافصاح عن شعور هذا العصر

من أحمد رامي الى أمين نخلة

لمناسبة تلاقيهما في مهرجان الشعر بدمشق

لقيتك بعد ناي واشتياق ولم آك عالما اين التلاقي
وكنت اهيم في دنياك علي اراك تلوح في ظل المآقي
اسائل عنك أين وكيف تحيا وهل عهد الهوى منه بواق
تحن الي قدر حنين قلبي اليك على مدى عهد الفراق
وقيل : أتاك فانهض واستبقه الى الضم المرجع والعناق
فسرت اليك يدفعني حنيني واكتم عبرتي مما الاقي
الى ان لحت في عيني خيلا تجسد فيه حبي واعتلاقي
وأهوينا على عطف وجيد نضمهما ونمضي في العناق
الى أن فاض دمعي في حنيني اليك وغام دمعك في المآقي

احمد رامي

واحساساته ، فلنسمع ما قاله « اناتول فرا انس » في بعض فصوله : « لم تتغير شروط الفن من عهد هو ميروس » الا قليلا ، واني لا أستطيع أن أدصور انها ستتغير كثيرا من هذا اليوم الى يوم القيامة ، ان البشرية نفسها تتغير ببطء عظيم ، ومهما يفقد الشعراء الشباب من صبرهم فانهم اذا أرادوا أن يعطوا الرجل احساسات جديدة لزمهم أن ينتظروا حصول الرجل على حواس جديدة ومثل هذا الحصول لا يتم الا في بطء لا نهاية له » ــ

فاذا كان الذين يثورون على لغة العرب انمايثورون لعجزها عن الاعراب عن شعورهم الجديد فليتحقق عندهم ان هذا الشعور الجديد لا يختلف كثيرا عن شعور العصور المتقدمة وكما وسعت لغة العرب شعور من تقدمهم من الشعراء فانها تستطيع ان تسع شعورهم وستستطيع أن تسعه حتى يوم القيامة ! ــ

لم تعجز لغتنا عن استيعاب فكرنا وشعورنا وذوقنا وانما نحن الذين عجزنا عن الاهتداء الى صيغ لهذا الفكر ولهذا الشعور ولهذا الذوق ! ــ

شفيق جبري

نفسي الضئيل

بقلم : محمود الخطيب

ـ الشرف ؟!!

وبصقت على الشارع بعصبية فتكورت على الارض بقعة بيضاء ممطوطة . وانطلقت من بين الناس مصرورا على حالي وفي نفسي يتمخض اشمئزاز على بقايا حب لم تزل ذكراه بعد .

كانت نظراتي مذللة ، تتشبث على أديم الشمس بعنف فالفيتها صفراء باهتة ، عليلة ، تعيش في خط روتيني لا مفر منه وقد بدا على ملامحها اشمئزاز كأنها تبحث عن منقذ في الجو اللانهائي .

كان الوقت عصرا .. واليوم خريفيا .. والسماء فوضوية تتزين بثوب بربري ، حيث تناثرت في الفضاء كتل ضبابية جوفاء أخذت تتهاوى على مهل نحو اللامحدود، والدنيا تتلفع بملاءة من نغمات الضجر .. وأنا آخذ طريقي الى هدف ضليل مشتت لم يلج الى ممتلكاتي بعد .

كأن ألمي الذي يعروني في هذه الساعة أخذ يتحرك عن سواكن مؤلمة فبدت الامور لعيني ملولة وبدت الحياة لنفسي سقيمة فابتأست مكامني وانكمشت مزعوجا واخذت جانب الطريق بسخرية .

ـ هيء .. هيء .. الشرف !!

وبصقت بعصبية ، فتكومت على الرصيف بقعة بيضاء لزجة . ووضعت يدي في جيبي ثم شددت ذراعي على جسمي وقد تمتمت ببضع همهمات غير مفهومة .. وانتفض رأسي بلا وعي فولجت الى عقلي بقايا صورة مهزوزة عنيفة أخذت تراود مخي بقسوة كأنما تسحقني . وأحسست بذهول شديد يتعاورني فاطبقت يدي على عيني لفترة وغرست نظري في جو الشارع فالفيته كليلا مقرفا يتداول فيه أناس مختلفون .. يمشون ويضجون !! .. يصيحون ويقهقهون !! .. يركضون ويقفون ! .. ولا هدف لهم ! .. ضياع يشتتهم ! .. غباء يسيطر عليهم ! .. جهل يملأ عقولهم ! .. ضغينة في نفوسهم ! .. كره لبعضهم البعض ! .. حسد قاتل ! .. تبا لهم ما أقذرهم ! .. تف ! .. قرف ! .. قرف !..

وأمعنت في وجوه بعضهم باشمئزاز فوجدتها مقيتة هزيلة تبعث على الغثيان كرائحة الاوساخ المتعفنة .

ـ هيء .. هيء .. الشرف ؟!!

ووقفت على حافة الطريق بلا سبب كأن شيئا قويا شدني في مكاني ، ثم تابعت مسيري في طول الشارع بلا هدف ونظري يحدق فيما على أديم الارض وقد تسمر في رماديتها الدكناء فتقيأ .

أنا أسير ببطء نحو نقطة لا زلت أجهلها .. ويبدو أنني ضال .. بعد أن أصبحت حياتي متكشفة ، تافهة ، لا قيمة لها ، كالخرقة العفنة . وقدماي تطآن على الارض بثقل محموم كأنهما ميتان . وجسمي متداعي الكيان كالمثانة المخروقة . وفي نفسي يتصارع كبرياء صلب لا ينثني .

* * *

تستطيع أن تفسر موقفي منها كما يحلو لك . ولن يختلف معي الامر سواء لدي أأنصفت أم لم تنصف . سمه جورا ان اردت .. أو مشينا ان أحببت .. لكن تمهل وضع قضيتينا في كفتي ميزان متساويتي الثقل ، واجعلهما تتحركان تحركا طبيعيا لا دخل لعوامل يديك بهما ، ثم ابتعد بحكمك عن تكويننا الحياتي ولا تتحيز

لها لانها أنثى • لن يضيرني ما ستقول ، ولن انفعل ! ، ولن أتألم ! ، فلا تجور علي أرجوك •

كانت قصتي معها بالشكل الذي تعتبره كالخيط الرفيع اذا ما شددته انقطع او ارخيته وقع • غير أنني كنت حافظا لـه اتزانه من كل الجوانب ، ومالكا عليـه اهتزازاته من كل صوب فلم يحدث بيننا ما ينكد البال الا منذ أيام •

سأم ! •• قرف ! •• تشرد ! ••

وتطلعت نحو الافق فتكاثرت على رأسي الهموم كما تتكاثر بكتيريـا الخمـيرة ، وتحركت في أعماقي ذكريات فأحسست بانقباض شنيع وتناوبني ألم مكتوم كمن أتلفت مخه هراوة غليظة •

ويقولون أن الحب اله ! •• هيء •• هيء••

ويقولون أن الحب عار ! •• أغبياء !

شرف ! •• شرف ! ••

خيانة ! ••

كأن حكـم الزمن يمر مشـحوذا على ألسنتهم فيعطيهم صبغة عقلية مخصوصة تلون سذجا وتلون فطنا حيث يستضعف لهـا الاول بالرغـم من تطور العصور ويؤمن بها الثاني قسرا عن غرائب الايام :

هيء هيء • قس ان الشرف : عفة •• صدق •• اخلاص •• أمانـة • وقس ان قلة الشرف : عار •• كـذب •• سرقة •• خيانـة • والمجتمع لا يرنو الى التعادل :

أنت سارق : الا خيبة الله على شرفك • (وينتهي الموضوع !) •

انت كاذب : الا خيبة الله على شرفك • (وينتهي الموضوع !) •

انت عاشقة : عاشقة ؟! •• اقتلوها •• ان عارها يجب أن يمحى •

وتوقفت لبرهة • واتكـأت على عامـود حديدي يقف على الرصيف بعنف ثم نظرت الى وجوه الواقفين فلمحت فيها تساؤلا ينبعث الي ببطء كما تنبعث حمى الملاريا • ولويت رأسي ، وحدقت في أرض الرصيف فشعرت بهـا تتمطى وفي فمها قيء كثيف ثـم تناهبتني احساسات قاتلة فعدت الى أيامي مع « هناء » :

بعض لحظات الزمن ، ذات جو ومناخ ، وأرض وفضاء ، وصبح ومساء ، تستطيع أن تأوينا ونحن في غمرة سعادتنا كالطفل الرضيع • غير أن ثمة شـوائب مقيتة تلج علينا لاول وهلة كما يلج النور على الخفاش في سجف « الليل » •

كنا في يوم جمعة •• من شهر ماض عتيق •• والعصر فيـه أرعن شـاحب مغبون ، وبعض نسيمات خريفية خبيثة كانت تتحلب الينا ببطء من النافذة فتداعب بضع شعيرات منثورة ضعيفة من شعر « هناء » • وقد بدا لي الطقس جميلا بالرغم من رعونته ، ذلك لانني تفرست في محاسن « هناء » فالفيتها جديدة خارجة عن المألوف :

وجه تورد أكثر من ذي قبل • وعينان نجلاوان مكحلتان يأطرهما هدبـان طويلان من جهـة السطح وهدبان جميلان من ناحية الخد • ولها صدر يسشمخ فيه نهدان عنيدان يكللهما حياء مشفوف ونداء مستحب •

رأيت فيها جمـالا جـديدا واضحا ، ولحظت في عينيها تساؤلا كاد يصبح عتيقا فدنوت منها بلطف وقبضت على خصرها من فوق الكشحين وأدنيت شفتي من شفتيها ثم شددتها الى بطني وأخذت أداعب لسانها •• قليلا •• قليـلا • على أنني أحسست فيـه توهجا كاد يحرقني فاخذت أجوس بين شفتيها محموما ويداي تعبثان باللاشيء أبـدا •

قلت لها بعد أن عرقنا فترة صحو :

ـ لم ننس الامر يا حبيبتي •• سأتقدم غدا ••

ـ غـدا ؟!! • (وانفرجت وجنتاها فرحا وقـد تلونتا بحمرة هائجة) •

ـ أجل •• مساء • هل والدك موجود؟• (فهزت رأسها بأن : نعم) •

وعندما تركتني ودعتها بعناق .. عميق ! .. عميق ! ..

* * *

كانت بوادر الليل تهمس في أذني نتيجة اليوم التالي ، وأحسست بنبراتها تنبعث الي ناعمة ممطوطة كأنها تغني . على أن شعورا بالسعادة شرسا أخذ يتمطى ويثور في دمي كالسلك المكهرب .. وقد بت تلك الليلة مأسورا لقلبي وفي رأسي تتغير بضع صور لمستقبل مضمون .

نبأتني تباشير الفجر وهي تتحلب من خصاص الباب : بأنك مفلح . فابتهج قلبي وقمت مسرورا وسحابة من التثاؤب نشيطة على ثغري . وعندما قدم المساء كانت قدماي تتساقان مجنحتا على الطريق المزدوج ونظراتي تتطلع شغوفة بالرغم من أنها لم تعلق على الاشياء أكثر من برهة .

كأنني أحلم . وقفت متأنقا على الباب ومن شعري تنبثق رائحة معطرة فرفعت يدي وطرقت الباب ثلاث طرقات خفيفة .. ثم عدت الى هدوئي وانتظرت الى أن انفتح الباب وقال من ورائه صوت أجش : (مين .. ؟)

على انني استدرت اليه وانحنيت مصافحا فرحب بي بحرارة بالغة وجعل يسألني قبل ان أدخل عن عدم زيارتي له ثم أنهى عبارته بقوله : تفضل ..

وعندما دخلت الى الغرفة ذكرت آخر زيارة لي لهذا الصديق منذ عهد بعيد . وذكرت طباعه الحادة وعقليته المخنوقة ، فاعتدلت في مجلسي وركزت بصري ضمن منطقة محدودة .

تحدثت اليه طويلا ، وشرحت له سبب مجيئي .. وبينت له ما أنا معلق الامل عليه . فابتسم عن اسنان صدئة وقال ورأسه يتحرك : انه ليسرني أن تكون زوجا لابنتي .. لكن دعني استشيرها أولا (فمشت السعادة في بدني) ، فاذا وافقت كانت لك ..

قلت وأنا أرشف فنجان قهوة :

ـ اذن دعنا نلتقي مرة أخرى . (وقفز نظري الى الفناء فلمحت طيف « هناء ») .

قال :

ـ بعد اسبوع .

قلت :

ـ استأذن . ثم ودعني .

خرجت من عنده وكل شيء في نفسي يرقص . واحتويت الشارع بين عيني واخذت أقلب وجوه الناس فرحا :

ـ انتهى الموضوع طالما أنه وافق . أما رأيها هي فمضمون مئة بالمئة ، وغدا عصرا سأعرف النتيجة .

وسلكت طريق بيتي ..

* * *

بدأت أشعة الشمس تسيل من نافذتي الغربية رويدا رويدا . وبدأت نسمات العصر تهب نحونا بكل هدوء .. ثم عبقت في أنفي رائحة معطرة قوية كانت تنبعث من شعر « هناء » فأرسلت يدي تعبث بين تلافيفه وملت نحوها واستطردت :

ـ ماذا قرر والدك .. ؟

ـ لم يصرح بشيء بعد ..

فلم اكترث ، واستشرتها أن نمشي قليلا في المدينة .. فنهضت .. وأخذت يدها ونزلنا الى الشارع .

بدا لي الطريق طويلا طويلا فقارنته بطريق حياتي : طويل طويل .. وممهد !! . أعني : عيشة طويلة .. وزواج سعيد .. هيء هيء ..

واتكأت على كتف « هناء » فلم تنبس بشيء سوى أنها ابتسمت . وراودتني ثمة أفكار جعلتني أسرح في البعيد البعيد وافصل كل شيء فيه .

كانت الاشياء في رأسي تناوشني على حين غرة فتصرخ في صرخة مستحبة : يالك من سعيد !! . كأن في نفسها خاطرا أن تهنئني فلا أملك الا أن أبتسم .

جعلت استعرض هذه الامور كي لا تفترفي ذهني . وأحسست نشوة جمة تعتريني فسلكت الطريق وأنا لا أشعر أين أسير . وتناهبتني أشياء اثر اشياء فكنت لها

مسرورا • وملكتني السعادة من كل جانب فشعرت بانني كومة من السعادة ، ولم استفق من ذلك الا عندما طرق سمعي صوت محموح كالرصاص :

ـ أحمد !! •

فاستدرت اليه ولم أتحرك • جمدت في مكاني وقد أصابني خوف مميت • وأحسست بجسمي ينتفض واطرافي تراخى ، فنظرت اليه بعينين شاخصتين •

أما « هناء » فقد لاذت خلف ظهري وأخذت تهذي :

ـ والدي !! ••

اقترب مني !! •• وتناول « هناء » من شعرها !! •• وشدها اليه بقوة ثم هوى عليها بكل يده • وأخذ يتمتم كالمجنون ويرفسها بقدميه وقد تجمع حولنا أناس كثيرون • ثم استدار الي بعنف وبصق في وجهي : يا سافل !! ••

فلم أقو على الحركة ، وبقيت واقفا كالصنم •• بينما أبتعد هو بابنته وهي تبكي •• وبصاق كثيف لزج كان يسيل تحت جفني ••

* * *

رأيت الدنيا سوداء أمامي •• وكل شيء فيها بشعا •• وتطلعت الى من حولي فرأيتهم يحدقون الي كأنهم يرثون لحالي بينما أخرجت من جيبي خرقة مطوية ومسحت بها وجهي ثم أخذت طريقي الى البيت •

« بعض لحظات الزمن •• ذات جو ومناخ ، وأرض وفضاء ، وصبح ومساء ، تستطيع أن تأوينا ونحن في غمرة سعادتنا كالطفل الرضيع • غير أن ثمة شوائب مقيتة تلج علينا لاول وهلة كما يلج النور على الخفاش في سجف الظلام » •

بت ليلتي وأنا أتألم • وحاولت أن أرى « هناء » فلم أستطع • ثم مضت أيام الاسبوع يوما بعد يوم كأنها تخطو على قلبي بأقدام من نار • وجعلت صور أفكاري تتغير كأنها تدفن عزيزا ••

وفي ذات صبح استطعت أن القاها • رأيتها تسير في الشارع وحيدة فهرعت خلفها حتى أدركتها • ولما وقفت أمامها وجدتها شاحبة ذليلة فنظرت الي وهزت رأسها بأسف محزون • قلت لها بذهول :

ـ ألم يوافق ؟! ••

فهزت رأسها بأن : لا

قلت :

ـ سنهرب يا « هناء » •؟

فرفعت حاجبيها الي وهزت رأسها بالنفي ثم قالت بصوت خفيض :

ـ سأتزوج يا أحمد ••

قلت كأن شيئا يصعقني :

ـ من شخص آخر ؟!!

قالت :

ـ أجل ••

فقبضت على كتفيها بقوة واستطردت :

ـ « هناء » ؟!!

ـ لا أستطيع يا أحمد ••

فلم أتمالك نفسي ، وأحسست كأنني منهار ، واختنق في داخلي أمل مكبوت فوددت لو أصفعها لكنني جمدت •• غير أنها أخذت تبتعد من أمامي •

* * *

ويقولون ان البنت اله •• هيه •• يالهم من أغبياء !! وتطلعت الى العامود الحديدي فالفيته يقف على الرصيف بقوة • ثم نظرت الى الشمس فوجدتها باهتة ، عليلة ، تعيش في خط روتيني لا مفر منه •• وقد بدا على ملامحها اشمئزاز عنيف كأنها تبحث عن منقذ في الجو اللانهائي •

ثم نقلت خطاي عن الرصيف وعبرت الشارع وفي ذهني تتداعى صورة لهدف لم يلج الى ممتلكاتي بعد ••

« على أنها تزوجت •• »

وانطلقت من بين الناس ، وأخذت جانب الرصيف من جديد بينما علت قسماتي سخرية شنيعة فأحسست ان ثمة كلمات تتعثر بين شفتي : هيء هيء •• الشرف!!

جمال

شعر : احمد الجندي

جمالك أبهى من ربيع الحدائق ووجهك أزهى من ضياء المشارق
وطرفك صحو لا يمر بباله سواد اسى لولا سواد بخافقي
ويسرق ضوء الفجر من فيك لونه فياطيبه لونا حلالا لسارق
ويعجبني من طبعك السمح نظرة نفور تخطى وهجها كل عائق
أصاخت الى صوت الشباب ولم تعر سماعا لصوت موقر بالحقائق
ايعلم قلب فيك أني شاعر وأني الى عهد الهوى جد تائق
فلا تحرميني من رضاك فانه شفاء لوجد في الاضالع عالق
اسر اذا اقبلت حتى كانني الاقي الهوى لكنني غير واثق
فليت ابتسام الغيد يصبح موعدا وليت التفات الغيد قولة صادق
وليت الهوى يكسو شبابي جدة تطول ، وليت الحب غير مفارقي
وما يصنع المشتاق والعمر مسرع ذهابا ، وعزمي مسبق غير سابق
اذا أنا لم ابلغ هواي مع الصبا فكيف ارجيه وشيبي لاحقي

عرجت مع أول درب وفي بدني يضج ذهول شديد ، وقد اعتراني ألم تمخض فيه ربو كثير • ولم انتبه الى خطاي بينما كنت أسوقها في شارع ضيق معفوف يبعث على التقيؤ •

ذكرت موقفي بالضبط •• وتراءت لي أشياء كثيرة دخلت الى ذهني بسرعة فشعرت كأن شيئا شدني وثبتني في موضعي • وتسمرت عيناي في اللافتة التي تعانق جدار « المكتبة العامة » فضحكت بسخرية وهززت رأسي متألما وقد أخذت طريقي اليها وأنا استعرض آخر مرة دخلت اليها مع « هناء » • لم أشعر بالم أكثر ، بل تبسمت على مضض • وعندما دخلت ، الفيتها غاصة بالرواد ، والمرور من بينهم يشعرك بالضيق فتسللت من بين المقاعد ودرت فيها لبرهة ثم عدت في طريقي الى الباب •

كانت خلايا قلبي تستطرد دقاتها ببطء كأنها عليلة فتبعث الى رأسي اغماء موضعيا جعلني اذهل طول الوقت • على انني استسلمت لبضع همهمات تناوشتني من الداخل فاكتملت في نفسي ضجة مخفية وتصبب من وجهي عرق بارد ثم ازدرت ريقي فتوقفت كالمخبول • كانت واقفة أمامي بكامل جسمها •• يشع من عينيها بريق مكروه وتتلون قسماتها بشحوب ظاهر فذكرت أن « هناء » هذه غير « هناء » تلك ، ولم أزد على أن أرخيت جسمي ورمقتها بنظرة مغبونة ثم اقتربت منها وصافحتها بكل هدوء ، بينما أخذت نظراتنا تتبادل أسفا محزونا • قلت :

ــ مبروك !!

فلم تجب • بل أخذت شفتاها تفتران بألم مكبوت• ولم أجد مجالا سوى أن أودعها فهززت يدها مصافحا واستطردت :

ــ هل أنت مسرورة ؟

فقالت وهي تهز يدي :

ــ وهل انت مسرور ؟

الكويت ــ محمود المخطيب

لا تظلموا القارىء

بقلم : قدري العمر

قدري العمر :
افنى شبابه يعلم الادب ، يقسم نفسه في نفوس كثيرة .
متذوق موهوب ، عارف بالجمال واسراره ، لو انصرف الى النقد لكان له المجد ، غير ان القدر كتب أن يكون شمعة تحترق لتضيء .
اخرج « من الادب » طبعة متواضعة لم يحسن عرضها لانه فوق الاعيب السوق ، ثم اعتزل متفرغا للتاليف يراود حلمه فاخرجته وزارة الثقافة رئيسا للمركز الثقافي في حمـاه ليتابع قدر الشمعة التي تضيء درب الاجيال .

لو كان كل أثر فني ، من منظوم أو منثور ، ينبض بالحياة ، لزاد عدد القراء ، وأضحوا أكثر مما نتمنى .. فلا تظلم قارئا ، ولا تقل الذوق الفني ضعيف ، وقراء البيان الفني نادر أو قليل !..

كلنا نتمنى أن يكثـر قراؤنا .. بل كلنا نسعى وراء هذه الامنية ، منـذ أخذنا أنفسنا بالبيان الفني .. وهل هنالك متعة أسمى من أن تبتسم الجماعة لابتسامتك، وتعبس لعبوسك ، وترتاح لسخرك ، وتغار لغيرتك ، وتتحول من الترح الى الفرح بفرحتك ! .. يقرؤون لـك ، فيفرقون بـين هدوئـك واضطرابك ، ورضاك وغضبك ! . بين بؤسك وترفك ونقمتك وتوجيهك .. وهل هناك متعة أسمى من أن تكون الحب الخالد ! ..

ومتى كان الحب ، غير لون من ألوان هذه الشركة؟ ومتى كان هيام الام بالولد غـير لون أزلي من هـذه الالوان ؟ .. على أن الام ليست باقية ، وعلى أن لهيب كل حب الى فتور ، فانطفاء فزوال ! .. وأنا وأنت ، ياطويل العمر ، كلانا الى الفناء ! .. لكن قراءك باقون ! .. فكلما ذهب منهم جيل جاء بعدهم جيل جديد .. يقرؤون أثرك ويحبونك ويتأثرون بك ..

هذه كلها أماني الجميع ! .. لكن أهل البيان على تفاوت ، من بلوغ هذه الامنية .. فبعضهم لا يقرأ لهم سـوى أثنين لاثالث لهما ! .. هما : الام أولا والاب ثانيا ! .. وقد يدرك الفائزون بمثل هذا العدد الكبير من القراء أنهم لا يزالون في مهد البيان ... وبعضهم يقرأ لهم عشرات أو مئات من أصدقائهم ! . وقد يدرك هؤلاء أيضا أنهم يصعدون أولى الدرجات في سلم البيان .. وبعضهم يقرأ لهم كل قارىء من أمتهم ، واذا ترجم أثرهم الى اللغات الاخـرى يقرأ لهـم قراء تلك الامم الغريبة ..

واذا كانت سبيل الاتقان في الفن صعود على هرم ، فـذروة هـذه الهرم ، وان كانت مستعصية على طاقـة البشر ، لكن الدنو منها متيسر لنفر من كل شعب، ثم يأتي بعدهم ألوف ، يلحقون بهم على درجات ، فمن دان منهم يكاد يزحمهم بمنكبيه ، ومن راكض وراءهم بيسر، ومن ماش بعدهم بعسر ، ومن ممسك بأول السفح يكاد لا يرتفع خطوتين حتى ينحدر خطوة الى الـوراء .. فاذا كان المتنبي قد دنا من هذه الذروة ، فقد كان بعضهم يجري عن يمينه ، وبعضهم يجري عن يساره ، ومئات يركضون وراءهم ، يريدون أن يلحقوا بهم ، فيقتربون منهم ويبتعدون .. وظل برنارد شو أكثر من ربع قرن ومثله تولستوي وأناتول .. دانين من الذروة والالوف من جنسهم يدنون منهم ويبتعدون .. هـذا هو شـأن البيان اليوم ، وكذلك كان شأنه أمس ، وسيظل هذا شأنه الى الابد .. والقارىء في كل جيل وزمان ، يتخطى

المتخلفين ، ويلحق بالسابقين •• غير أنني أؤمن أن هؤلاء جميعا : الضعيف والمتدرج والقوي ، يعلمون أن أمانيهم من القراء لا يتحقق الا اذا كان الاثر الفني يحمل قطعا كثيرة من قلوب كثيرة ، وأجزاء متنوعة من نفوس كثيرة ••

وأؤمن أيضا أنهم جميعا ، يعلمون أن الحياة لا تعدو أن تكون فكرة وعاطفة وخيالا •• وأن الحياة تعيش بهذه العناصر الثلاثة في نفسك ونفس صديقك وأهلك وشعبك ! •• تعيش في نفس كل انسان •• ذلك بأنهم ، يعرفون ، أنهم عندما يذكرون الالف الذي فارقهم أثار حزنهم عليه ، صور تدنيه منهم وصور تبعده عنهم ، فيستأنسون بالاولى ، ويستوحشون بالاخرى •• حتى اذا هدأوا ، ذهبوا يبحثون سبب الفراق ، والطريق الموصلة الى التلاق •• وأخيرا يدركون ، عندما يصوبون البصيرة على النفس ، أنهم كانوا في مضطرب من الخيال، ساعة كانت صور الفراق والتلاق تضطرب في أذهانهم ، وأنهم كانوا في غمرة من العاطفة ساعة كانت تتدافع الوحشة والانس بين أرجاء نفوسهم ، وأنهم كانوا في فيض من التفكير ، ساعة بحثوا أسباب الفراق والتلاق ••

وليس ذلك وحده الذي يدركه أهل البيان ! •• انهم يدركون أيضا ، أن تلك العناصر الثلاثة ، (العاطفة والتفكير والخيال) تعيش في النفس ممزوجة بغيرها ، فليس لها مساكن خاصة بها ! •• انها تعيش في النفس كما يعيش المعدن الكريم في الطبيعة ! •• هذا المعدن تراه ظاهرا على وجه الارض مرة ، ومختبئا في جوفها مرارا ، وقد تظفر به صافيا حينا ، ومختلطا بمعادن غريبة ورمال وتراب أحيانا ! •• فكل ما يعرض منه زائفا مخلوطا بالدرن ، لا يسومه أحد ، ولا يأبه لاحد ، وقد يهزأ الناس من عارضه •• حتى اذا أضحى صافيا تهافت الناس عليه ، وتداعوا من كل صوب ••

فالمصرف نقاد ، سواء أكان حكوميا أم أهليا ، لا ينفق عنده الذهب والماس والبلاتين ، الا اذا كان مصفى من كل ما يختلط به من غريب المعدن والتراب •• ان المصرف وان كان لا يعني باستخراج المعدن الكريم من الارض ، لكنه عبقري التمييز بين خالصه وزائفه •• مثله في ذلك مثل القارىء ! •• ان القارىء ، مهما كان شأنه مع البيان الفني ، عميق الاحساس بحقيقة الحياة ، وبالتمييز بين أصيلها وهجينها •• وكيف لا يكون كذلك ، والحياة منه وهو منها ، وهي أمه وهو أبوها ••

ذلكم كله يدركه ، ويدرك أكثر منه ، جميع الذين أخذوا أنفسهم بالبيان الجميل •• ومن هؤلاء أناس ، لا يستعجلون بلوغ الاماني ، ولا يستسلمون اليها ، ولا تشغلهم حلاوتها عن العمل الى تحقيقها •• ان هؤلاء لا يعرضون على القراء أثرا من أثرهم ، الا بعد أن يتمثلوا الحياة التي تحيى في هذا الاثر ، تمثلا لا يغفل عن نأمة منه ولا حركة ولا لون •• ؟ بعد أن يستغرقوا فيه استغراقا لا يحسون الا به ، ولا يشعرون الا بوجوده ، وبعد أن يرسلوا ببصرهم على الفائض منه في أعماق النفس ، وعلى الطافي فيها••وبعد أن ينحدروا من الوعي الظاهر الى الوعي الباطن ، ما أمكنهم هذا الانحدار •• وأخيرا ينسلون المتشابك منه ، ويقربون البعيد ، ويفكون عقده ، عقدة بعد عقدة ، وينتزعون منه الطفيلي •• وما يزالون كذلك حتى يذهب الهجين ويبقى الاصيل ••

فاذا تم لهم ذلك ، ألبسوه الثوب الشفاف من اللغة، المنسجم معه بحركته وسكونه ، باضطرابه وهدوئه ، بخيره وشره ، بنزواته بعبوسه باشراقة بحاره ببارده ، بما يلائم الفكر وبما يلائم العاطفة ، وبما يلائم الخيال•• ثم يرجعون البصر ، فيبدلون بعض الكلمات ، أو بعض الجمل بغيرها •• وقد ينقلون مقطعا من مكان الى مكان ، •• وربما استغنوا عن صحيفة كاملة ، لانها واغلة على الموضوع ، وهي أحب اليهم من غيرها ، واذا ظهر لهم ضباب مهما كان رقيقا ، مزقوه •• وما زالوا كذلك حتى يفرغوا عليه طاقتهم كلها •• وييسر ذلك الثقافة اللغوية القوية ••

ذلكم جهد دائب « مطلبه كالمغاص في درك اللجة[1] » .. ولكن الغريب ، هو انك ، وأنت في هذا الجهد ، لا تحس به ، ولا تنتبه الا للمتع التي تملأ نفسك ، كلما اكتشفت سرا من أسرار الحياة . شرا كان أم خيرا .. وكلما ظفرت بكلمة تترك المعنى وراءها « حيا يلوح وظاهرا يصيح[2] » ، وكلما « حولت الغامض الى واضح والغائص الى طاف [3] » ، وكلما « جرى بيانك في سهل متصل بالافق [4] » .. والغريب أيضا أنك لا تكاد تشعر بالضيقة ، وانت تنتج ، حتى تتفتح لك أبواب واسعة تطل منها على أجواء ، تجد فيها من جمال الحياة ، ما لا تجده الا التي ولدت بعد مخاض عسير طفلا جميلا ، لم تشك عندما رأت أول حركة منه ، أن هذه الحركة آية من آيات الالمعية ..

لذلك لا تستطيع أن تقول : ان زهير بن أبي‌سلمي كان مرهقا وهو ينظم حولياته .. وان تولستوي كان مرهقا اذ كان يجعل بين كل سطر وسطر من كلمته فراغا يتسع بمقدار سطرين ، ثم يملأ الفراغ تصحيحا، ثم يلقي بالصحيفة الى زوجه ، فتنسخها ، وتترك بين السطرين الفراغ المطلوب فيعود تولستوي الى التصحيح ، وهكذا يزيد تصحيحه للمقالة في كثير من الاحيان على عشر مرات .. وقد يرسل بكلمة الى موسكو لطبعها ، ثم يفطن الى شعاع من فكر أو خيال أو عاطفة ، لم يكن فطن له قبل ارسال الكلمة الى المطبعة . فيرسل لها ببرقية يطلب وقف الطبع لينتزع ما يريد ، ويزيد ما يريد ، حتى يتبين الشعاع الذي فطن له .. والمتنبي لم يكن مرهقا أيضا بخدمة فنه ، اذ كان لا ينظم في السنة الا قصيدة ، أو اثنتين ، أو ثلاث ، كلها لا تزيد على مائة بيت ، وكان شعره كله الذي نظم طوال حياته ، لا يزيد على كتاب من مائتي صحيفة ..

ومثلهم فرجيل الذي نظم الاينيد في احدى عشرة سنة ، ولو لم يعاجله الموت ، لقضى ، كما كان ينوي أن يفعل ، ثلاث سنين في تنقيحها وصقلها ، وقد طلب ، وهو على فراش الموت ، الى أصدقائه ، أن يأتوه بها ليحرقها بالنار ، لانه لا يرضى أن يترك للاجيال المقبلة عملا لم يتعهده بكل ضروب الاتقان!.. ولكن أصدقاءه خلصوها من الحرق بعدما أقنعوه أنهم لا يسمحون بنشرها..[1]

تلك مثل عن الجهد ، المصبوب على تصفية الحياة وصهرها ، قبل أن تعرض على القارىء .. وهي صارخة بالوضوح .. فكل تعليق عليها ، يراد به الايضاح معدود في السخف .. أما الثقافة اللغوية ، او التخرج على البيان .. فتراه في الجاحظ ، وهو يكترى دكاكين الوراقين ، أيام كان يبيع الخبز بسيحان .. ثم لا يخرج من بين كتبها حتى يأتي عليها قراءة وحفظا .. وأخيرا يبلغ المنزلة التي تعرف من البيان .. وفي النابغة الذبياني، وهو يتخرج على البيان طوال حداثته وشبابه ، ويصبر حتى اذا عرف أنه دنا من الاتقان ، وكان قد صار كهلا ، فاجأ العرب بشعره فسمي نابغة ، ثم صار الحكم في سوق عكاظ .. ومثله النابغة الجعدي ..

وفي ماكسيم غوركي الذي لم يترك كتابا لم يقرأه أو يحفظه ، وهو يعيش بين نابي الفقر والفاقة ، في أعمال شاقة ، ثم انتج آثارا خالدة على الزمان .

وفي أبي العلاء المعري .. وما لنا وما لابي العلاء فهو معجزة الاجيال ..

وفي شرشل صاحب الصناعتين .. وهما شر صناعات البشر : الاستعمار واشعال الحروب .. ورغم ذلك ، كان بعض ما تخرج عليه من الادب حفظ معظم شعر شكسبير .. فكانت خطبته في معركة بريطانيا ، تعدل الانسحاب من دونكرك ، على رأي بلغاء قومه ..

وفي شوقي ، وهو يعيد دراسة المكتبة العربية خلال أربع سنين ، قضاها في اسبانيا يوم نعى اليها في الحرب الاولى ، وكانت سنه تجاوزت الاربعين ..

والمتنبي الذي لم يقنع بما كسب من الفصاحة بين

---

(١) ابن الرومي . (٢) الجاحظ . (٣) بوريس باسترناك صاحب جيفاجو . (٤) أناتول فرانس .

(١) الانييد اعظم قصائد فرجيل وهي ٩٨٩٦ بيتا . توفي فرجيل سنة ١٩ ق – م وعاش (٥١) سنة .

تصفية حساب !

شعر : الصافي النجفي

ستون من عمري تمر وخمسة — وانا كعهدي في الشبيبة باق
ابدا اهيم من الغرام بمهمه — واطوف في الافكار والآفاق
وارى رفاقي مستقرا عيشهم — بالمال والابناء والارزاق
أدركت من دنياي ما لم يدركوا — علما ولذات على املاقي
فهل الرفاق هم الذين قد اهتدوا — أم هل هديت انا وضل رفاقي

الى نافخ الناي

شعر : برنردوس القزي

خذ بفيك الناي — واعصر في حشاه اصفريكا
ان للناي شفاها — تتشهى شفتيكا
اترى النعمى تهاوت — واستقرت في يديكا
يوم حملت بلادي — نغمة في مسمعيكا
غنني فالشوق شوقي — عاصف في جانبيكا
لا تقل للناس شيئا — انه سر لديكا
نحن صنوان بارض — جفلت من قدميكا
غنني فالناي أدرى — بالذي يصغي اليكا

الاعراب في حداثته وشبابه ، فظل طوال عمره لا يفارق الكتب .. حتى في أسفاره ، كان اذا جن عليه الليل ، قال لغلامه أسرج ، ثم جلس في الفيافي بين الكتب ، حتى الهزيع الاخير من الليل .. فلما شرح ديوانه أبو العلاء ، سماه « معجز أحمد » .

كلكم أيضا أمثلة ، عن التخرج في اللغة أداة البيان ، وهي أكثر وضوحا من كل تعليق ! ..

وبعد ، فان نفوس هذا الجيل ، في هذه الايام ، في هذا الوطن العربي ، قد اختزنت ألوانا من الحياة ، تختلف عن الالوان ، التي عرفها الاولون ، من أجانب ومواطنين ، وستغيب عن المتأخرين كافة ، اذا أهملها البيان المنثور والمنظوم .. ان هذه الالوان من حياتنا ، تهيب بالذين أخذوا أنفسهم بالبيان الجميل،أن يتفهموها، ويعملوا الى بيانها بصبر ، يعدل صبر الافذاذ ، وبتؤدة تعدل تؤدة الافذاذ ، وباكتشاف لما في الانفس يعدل اكتشاف الافذاذ ! .. واذن ننصرف ، عندما تنتج ، عن الحياة التي عرضت علينا فيما قرأنا لاجانب ومواطنين ، قدماء ومعاصرين ! .. وندأب على اتقان لغتنا دأب المتقنين من أمتنا ، ومن أمم الارض ! ..

فاذا فعلنا ذلك ، استمتعنا بالنعمة الملازمة لكل شركة نفسية ، تجمعنا بما لا يحصى من قراء معاصرين ، وقراء من الهذة ، لم يولدوا بعد .. لا نعرفهم ولا يعرفوننا الا بآثارنا ! ..

حماه — قدري العمر

ابني الذي دفعت ثمنه

بقلم : صميم الشريف

ضغط علي بكل ما أوتي من قوة على ملجم السيارة، فانزلقت عجلاتها قليلا بتأثير الطبقة الرقيقة من الرغوة الموحلة التي أحدثتها الامطار ثم توقفت بعد أن انحرفت قليلا ..

كان يبغي أن يمر في تصالب الشوارع قبل أن ينطفىء نور شارة المرور الاخضر الاوتوماتيكي ، ولكنه لم يستطع ، فسرعان ما برق النور الاحمر معلنا توقف المرور عبر الشارعين الذين يقطعان جادة الصالحية فتوقف مرغما دون ان تبدر من شفتيه الشنيعة التي اعتاد أن يقذف بها كلما تضايق من شيء بغيض الى نفسه ، وان بدا على وجهه الذي لم يحمل في حياته أي تعبير شيء من الامتعاض ..

ونظر برهة الى النور الاحمر المتألق ثم قفل بصره الى ماسحة الزجاج التي كانت تعمل باستمرار على ازالة مياه الامطار المتساقطة على زجاج السيارة ومن ثم نظر الى المرأة الامامية التي عكست رتل السيارات الطويل الممتد خلف سيارته • والتي وقفت مثله تنتظر بدورها بريق النور الاخضر لتنطلق بأصحابها نحو أهدافهم • وكانت حبات المطر المتناثرة على زجاج السيارات التي وقفت في الشارع المقابل تبدو في عتمة الليل كأنها مصابيح صغيرة من النور في تألقها وبريقها •

وانتبه الى أنه خافتة تنبعث من المقعد المجاور له فالتفت نحو الكتلة المكومة الى جانبه ثم ربت بيده مهدئا وهو يركز الاغطية ويدثر بها الجسد الصغير النحيل الملتوي على بعضه وهمس بصوت خافت تخنقه العبرات :

ـ بابا أحمد .. أتتوجع ؟!

وجاءه الرد في الانين المتواصل الذي اندفع به الطفل مرة واحدة ، ووجد الاب في ذلك أسوأ جواب ، فزفر نفسا طويلا ضاق به صدره ، وترك الدموع تغرق عينيه المتهدلتين ، وأخذ يراقب حركة ماسحة الزجاج الرتيبة التي وجدها من خلال دموعه بأنها لا تقوم بعملها في مسح حبيبات المطر من على زجاج السيارة ، وقد فاته بأن دموعه هي التي تمنع الرؤية الواضحة عبر الشارع حيث تقف السيارات الاخرى المنتظرة لبريق النور الاخضر لتندفع بدورها في متاهات الشوارع المختلفة •

ورمق النور الاحمر للمرة الثانية وهو يحدث نفسه : كم أنا في حاجة الى أمه .. انها وحدها تستطيع أن تساعده في هذه المحنة .. ترى أين أجدها ؟!

وارتسمت عشرات اشارات الاستفهام أمام هذا السؤال دون أن يجد له جوابا ، وفجأة بدا له الماضي مرتسما على زجاج السيارة من خلال الماسحة التي ما زالت تعمل على ازالة قطرات المطر المنهمرة ، وبدت له الصورة المرتسمة باهتة نوعا ما الا انها لم تمنع عن ذاكرته صورة تلك الفتاة السمراء الشابة التي ارتسمت أمامه في ذلك الحيز الضيق من الزجاج ، وتتابعت الصور تلاحق بعضها بعضا ..

لم تكن زهراء على قسط كبير من الجمال حين تعرف عليها كموظفة جديدة في المؤسسة التي يعمل بها الا أن أناقتها وطريقتها العفوية في الحديث قد استهوته ، وشعر بميل غريب يشده اليها ، ولم يكن وسيما كي ينال بعضا من انتباهها ، وربما كان سمجا وفظا في رأي بعض أصحابه وأصدقائه ولكنه مع هذا أراد صداقتها بأي ثمن ، ولعله قد استهلك وقتا طويلا حتى استطاع أن ينال بعض اهتمامها ، وهذا البعض من الاهتمام هو وحده الذي جعله يميل اليها بكل ما يملك من عواطف ويدفع الى قلبه بسيل من المشاعر المحمومة ومزيد من

الثقة في أن سعادته قد ارتبطت نهائيا بتلك المقابلات الخاطفة التي كانت تتم بينهما ومن خلال ابتساماتها المشرقة ابدا على شفتيها ، غير أنه كان يريد شيئا أكثر من ذلك ، أكثر من تلك المقابلات وتلك الابتسامات التي كانت زاده كلما خلا لنفسه أو استسلم لوسادته قبل النوم •• انه يريد لو يستطيع ضم ذلك الجسد الى قلبه •• أن يضمه الى بيته الى الابد ••

وراقت له فكرة الزواج ، وتساءل طويلا : هل ترضى بي زوجا ؟! انه أنيق ، يملك سيارة ، ومنزلا فخما ، وسليل اسرة محافظة ، أما هي فليست سوى فتاة عادية ، تحب اللهو ، وتحب أن تكون محط الانظار في كل مجتمع تؤمه ، تحب أن يتحدث عنها الناس ، دون أن تهتم لنوع الاحاديث التي يتبادلونها عنها •• كانت تريد أن تعيش حياة الليل كأية بطلة من بطلات السينما •• أن تعيش محاطة بهالة من الاعجاب ••

وتساءل من جديد وهو يقف أمام المرآة وينظر الى نفسه مطولا مؤكدا لنفسه :

ـ لست وسيما ، كذلك لست جذابا ، وهذا البطن المنتفخ الذي ورثته من وراء جلوسي خلف مكتبي لا يدفع بالوقار ، كما لا يوحي بالاستهجان••انها سترفض دون شك طلبي ليدها ، ستجده مضحكا ، وسأغدو مضغة في أفواه زملائي من الموظفين اذا روت لهم الحكاية ••

وتوقف قليلا ثم أردف لنفسه : ان اسم اسرتي يشفع دون شك لديها فلم لا أجازف بسؤالها ؟! وارتاح الى هذا الخاطر ، وابتعد عن المرآة قبل أن يغير رأيه ثم توجه نحو عمله عازما على مفاتحتها بما اعتزم عليه •

* * *

وبدرت من الطفل المكوم على بعضه أنة مكتومة ، لفتت انتباه أبيه اليه من جديد ، فرده الى ما فيه للحظات ثم قال له وهو يربت بعطف على جسده : سنصل الى الطبيب بسرعة ••

وعاد يحملق في ماسحة الزجاج التي لم تتعب من حركتها الدائبة ، والتي عادت بدورها تحمل اليه مزيدا من الصور •• صور ماضيه القريب ••

كان زواجا سريعا لم يدر كيف تم ، فقط ترك لها فرصة للتفكير ، وحين سألها بعد أيام كانت ابتسامتها المشرقة التي ما زال يحبها تحمل اليه جوابها السعيد الذي جعله فرحا كطفل صغير عندما يتلقى دمية جديدة ليلهو بها ••

وفتح بيته للاصدقاء •• لجميع الاصدقاء ، رفاقه ورفاقها ، بديا سعيدين هانئين وان بدأت بعض الشوائب تنغص الحياة التي خالها ستبقى سعيدة الى الابد ، واعتقد بأن الجنين الذي يتحرك في أحشاء زوجه سيبدد عند اطلالته الى الحياة الغيوم التي كانت تهددحياتهماالزوجية السعيدة ويغير من عاداتها ، فتقلع عن ارغامه على السهر معها خارج البيت حتى مطلع الفجر ، الامر الذي كانت تعافه نفسه ولا يميل اليه ، غير أن حبه لزوجه هو الذي كان يدفعه لتلبية رغباتها مهما كانت تافهة ••

واشتد أنين ابنه أحمد حتى غدا كأنه الصراخ المكتوم ، فالتفت نحوه مرتاعا وهو يحدث نفسه ويخاطب ابنه في الوقت نفسه : لم يكن صراخك هكذا يومانطلقت الى الحياة ، كان في صياحك شيئا من البهجة الحلوة ، هل ابتلع الملل كل تلك البهجة التي شعرت وقتذاك ، هل أمتص حتى اطلالتك الحلوة التي كنت تستقبلني بها كلما أبت الى البيت •• آه أين ابتسامتك •• لقد ذهب كل شيء مع أمك المعتوهة ، انه ليس ذنبي أنها ليست معك الآن ، انه ذنبها وحدها ، انه خطيئة أمك •• كانت تصيح بي منفعلة لاتفه الاسباب :

ـ أنا لا أطيقك ولا أطيق ابنك هذا •• اني أكرهكما •• أكرهكما •• لقد هدمتما حياتي •• حياتي التي أحب أن ابعثرها والهو بها كما أشاء ••

ولاول مرة منذ بدأ ابنه يصرخ متألما هدأ فجأة هدوءا غريبا ، جعلت الاب ينظر الى النور الاحمر الذي ما زال متألقا ومن ثم عاود النظر الى حركة الماسحة الوائبة التي خيل اليه بأنه أصبح أسيرها في وقوفه

الأضطراري هذا .. وحدث نفسه : متى يلمع النور الاخضر اللعين ، الم ينقضي الزمن المقرر لها .. يجب أن أصل الى الطبيب ، ومن ثم أن أفتش على أمه .. انها تكرهني لا بأس في هذا ، ولكن ابني الذي يناديها باستمرار يريدها الى جانبه .. وانا .. أجل أنا لم أقترف اثما .. لقد طلبت الطلاق لتعيش الحياة التي تحب .. حاولت الكثير معها .. حاولت صادقا أن أمنع ما يهدم أسرتي الصغيرة عبثا .. فقد اصرت عليه .. كانت تريد حريتها .. حريتها في كل شيء الامر الذي لم أجد نفسي استطيع أن أمنحه اعتباطا ..

ومنحتها حريتها .. منحتها الطلاق .. الطلاق الذي كنت أخجل من مجرد التفكير في الوقوع فيه ، وخرجت من البيت تجر وراءها امتعتها وابني .. ابني الذي تكرهه والتفت نحو ابنه ، كان ينتفض في أغطيته المتدثر بها ، ودمعت عيناه ، ووجد نفسه فجأة يبكي كالطفل الصغير ، وهتف وهو ينظر الى النور الاحمر : لقد كانت تكرهك ، لم أرغب في أن تتعذب ، جعلتك في بيتها موضع تهكمها وسخريتها ، اعتبرتك قطعة من الاثاث .. لم أطق احتمالا .. لم أتحمل حياتها الطائشة الماجنة التي أخذت تحياها بعد الانفصال ، كانت تريد حريتها فقط من أجل ذلك .. وكنت أرغب صادقا أن تنال شيئا من عطفها .. بعضا من حبها الذي كانت تغدقه على عشاقها .. على تهتكها دون جدوى ، فعرضت أن أشتريك منها .. أجل اشتريك لكي أمنحك العطف الذي حرمت منه ، عرضت عليها الثمن الذي تريده كي تتخلى عنك الى الابد ، فرفضت بادىء ذي بدء ، ثم استمالت لاغراء المال .. المال وحده لقد دفعت ثمنك مبلغا لا بأس به ، لقد اشتريتك وأنت ابني ، لم أشأ أن أحرمك منها أو أحرمها منك لقد ارادت التخلص منك بهذه الوسيلة ، لم تحبك في يوم من الايام .. أتسمعني .. أتسمعني ؟!

واختنق صوته وأخذ ينشج ، وأراد أن يخفي دموعه فلم يجد أمامه سوى ابنه فمال اليه يحمله بين ذراعيه ورفعه جيدا نحو صدره حتى اختلط الوجهان ، ثم مال الرأس الصغير شيئا فشيئا وتهاوى على بعضه .. وارتاع الاب من حركة ابنه فتوقف عن نشيجه ورمق الجسد الصغير الذي يحمله بهلع ، وحبس نفسه وهمس مناديا :

ـ أحمد .. أحمد ..

فلم يسمع جوابا ، ورفع الرأس الصغير المتدلي نحوه ونظر اليه !! كان جامدا في براءة على صورة الالم الذي كان يعاني من وطأته ، وتلمس بسرعة اليد الصغيرة التي كثيرا ما كان يقبلها .. كانت ما تزال دافئة ، غير أن نبضها الذي يشعر بالحياة كان هامدا ..

واختلجت شفتاه واضطرب تنفسه وارتبك في قعدته وهو يرى الرأس الصغير وهو يتدلى من جديد على بعضه وتساءل : ترى أيمكن أن يكون قد مات ؟!

وروعته الفكرة فهز ابنه هزا متواصلا ، فلم تبدر من الجسد الصغير أية بادرة تشعر بالحياة التي كان يتمتع بها قبل قليل .

وأبى عقله أن يصدق الحقيقة التي لمسها بنفسه فعاد يهز ابنه من جديد ، بينما انطلق نفير السيارات التي تقف خلف سيارته تستحثه على السير بصورة مزعجة وبحركة لا شعورية أزاح ابنه عن صدره ليرى الماسحة ما زالت تتأرجح في ذهابها وايابها على الزجاج الضبابي والنور الاحمر قد تبدل الى أخضر فاسحا المجال في تألقه لحركة السير خلال الشارعين المتقابلين ..

ولم يدر للحظات ماذا يفعل ، وسمع صفارة الشرطي تدوي والسيارات التي تقف وراء سيارته تمزق الفضاء بنفيرها المزعج ، وبالشرطي يقترب من سيارته وقد أخرج دفتره مبتسما وكأنه وقع على صيد ثمين :

ورمق السيارات الاخرى في الشارع المقابل التي أخذت تنطلق في سبيلها ، ثم أرقد طفله بجواره ودثره بالاغطية وعاد يرقب حركة الماسحة منتظرا سؤال الشرطي الذي غدا بجانبه وأخذ يهذي وقد بلغ انفعاله أشده : يا الهي ماذا أصنع .. ماذا أفعل .. ابني .. انه ابني ..

اللغة بين التبسيط والتطوير

بقلم : محمود البارودي

أحاول أن أفند هنا ، هـذه الدعوات المنحرفة ، وأظهر ما بها من خداع وتدجيل ، ولست أخاطب الاعداء والخونة والمتآمرين فلاولئك حديث بأسلوب آخر ، ولكن فئة من المثقفين باعدت الظروف بينهم وبين اللغة فظنوا بها الظنون ، فاستغل الخونة عقدتهم ابرع استغلال فنفثوا فيهم سموم كيدهم وأوهموهم أن اللغة العربيـة لغـة معقدة لا يطيق المثقف اتقانها ، ولو انقطع اليهـا انقطاع الرهبان ، وأنها الى ذلـك لغة بدائيـة لا تنهض بحاجات العصر .

فيقيني ، أن هذه الفئة ، هي التي أمدت الخونة بالقوة ، ولولاها لغصت الحلوق بدعوتهم فاختنقوا بها قبل ان تبلغ الشفاه .

وليس يجدي كيل التهم جزافا للدعاة ، فقد برع هؤلاء في تقمص دور الرواد الشهداء ، ونعتوا فاضحيهم بالرجعية والتحجر ، فلو بسطت الحجج واتضح الخطر لعادت هذه الفئة الى الجادة ، فهي سليمة الطوية دون ريب ، صور لها الداء على غير حقيقته ، فرأت في هـذا الدواء .

ولست استطيع في هذا الحيز أن استوعب الادلة ، ولكني اختط منهجا ، أرجـو أن يتابعه الذين نأوا عن المعركة تهوينا لشأنها ، أو ربأوا بأنفسهم عن التعرض لوقاحة المتهجمين .

ولست أعبأ بالعامية ، فهي أكثـر هـذه الدعوات افتضاحا ، ولست تجد من يجهل ، أنها لهجة لا ترتفع الى مستوى اللغة ، فهي دون قاعدة أو ضابط وقد وضع بها كبير دعاتها مقدمة كتاب ، فاضطر ــ كما اوضح ناقد متتبع ــ لاستعمال كلمة فصيحة في كل ما ينبيء عن فكر أو علم . وليس من يجهل كذلك أنهـا تقطع الخيط فتتناثر الاقطار في كل اتجاه ، وأن غاية أمر العروبة معها أن تصبح كاللاتينية أصلا لامم متباعدة .

ولست أعبأ بالتحول الى الحرف اللاتيني فخطره واضح أيضا ، فنحن أمـة نعاني من الاميـة ما نعاني ، وسيقذف هذا التحول بكثرة القراء الى هاوية الامية مرة أخرى ، يضاف الى ذلك ، أنه سيقطع الصلة نهائيا بيننا وبين تراثنا الفكري ، واذا كانت نفوس المثقفين منصرفة منذ اليوم عن الالمام بهذا التراث ، فكيف يكون الشأن اذا نهض اختـلاف الحـرف بينهم وبينه ، وليس اعادة الطبع بالشيء اليسير ، وليس اتقان القراءتين بأيسر . وفيم ذلك كله ؟

ان قيل أنه سيضبط الكلمة ويدخل الحركة في

وصاح الشرطي من خلال ضوضاء الطريق التي بلغة أوجها آمرا : أوراقك يا سيد ؟

فلم يجبه مباشرة ، وترك الشرطي يرقب دموعه وحركاته المضطربة ثم قال حين رأى الشرطي قد اتكأ على حافـة النافذة مشيرا الى الاغطية التي تدثر الجسد الهامد :

ــ ابني .. ابني الذي دفعت ثمنه مات .. مات الآن .

وأجهش بالبكاء من جـديد بينما دس الشرطي دفتره في جيبه وابتعد قليلا دون أن ينطق بحرف .

وتحركت السيارة الثكلى وانطلقت على غير هدى في متاهات الشوارع يلفها البكاء والصمت الحزين والعتمة الداكنة .

صميم الشريف

صلبها ، فذلك هو الخداع بعينه ، ولئن هان أمر القراءة كما يزعمون ، فستغدو الكتابة مشكلة كبرى ، وسيضطر الكاتب غير المتمكن الى ضبط الكلمة صرفا ونحوا كي لا يتردى في خطأ الكتابة .

فاذا كان القصد تسهيل تعلم اللغة لغير العرب ، فياللمهزلة ؟ ان اللغة لا تطلب لذاتها ، بل لما بها من كنوز الفكر ، وحين تعود لغة ابداع ، أنا الضمين باقبال الناس ولو كانت في الاملاء كلغة الصين .

ولست أحسب أن الضاد تبلغ في صعوبة الاملاء مبلغ الانجليزية ، فتلك سماعية ليس لها ضوابط ،وكثيرا ما تكتب الكلمة فيها على غير ما تقرأ وليس في العربية سوى كلمات قليلة بهذا الشكل ، ومع هذا لا يتشكى الانجليز ولا يتبرمون ، فاذا أمعنت النظر في الدعوة تكشف لك أن التذمر مصدره الحركات ، فهي التي تجعل القراءة بالغة العسر ، وقد تجاهل هؤلاءأن‌الحركة بنت المعنى ، وأن بناء الجملة العربية كله يستند الى الاعراب فشاءوا دمج الحركة في الكلمة تمهيدا لازالتها وفي هذا ما لا يخفى .

أما الدعوة لتبسيط القواعد ، فقد انتحلت لنفسها الرغبة في تقريب أسباب اللغة وبسطها باسلوب حريث ، فهي كما ترى ذكية ماكرة ، وهنا يكمن الخطر ، لانها تتسلل دون أن تثير الريب ، فقد انتحلت لضعف المثقفين الاعذار ، ومدت يدها اليهم بالدواء ، فتبدت وكأنها حركة اصلاح ليس بها خروج .

ولكن صورتها الفجة ، كما عرضت لاول وهلة ، على لسان مدرس عراقي في مجلة الآداب منذ أعوام ، تفضح مصادرها وأهدافها ، فقد زعم هذا أن الواجب يقضي باستعارة قواعد اللغة الانجليزية فيكون الموضوع Subjcet والمنصوبات Predicate فتحل مشكلة المفاعيل المختلفة بأيسر السبل ، ثم يستطرد زاعما أن اللغة البدائية هي التي تعنى بالحركات ، لان الذهن البدائي يميز في جملة (أكل زيد الرغيف) الآكل من المأكول بغير دلالة الرفع والنصب ، أما نحن نقد بلغنا من الوعي حدا ندرك به أن الرغيف لا يأكل زيدا ، فلسنا بعد في حاجة الى الحركات .

هذه التفاهة بحذافيرها ومثلها الساذج الابله ، تفضح ما في هذه الدعوة من تخريف وسوء نية . ولكنك لا تكاد تمضي حتى تجدها في أحرفية يوسف السودا قد أخذت شكلا عربيا أكثر مداراة وتركيزا ، ولكنها هي هي في خطوطها العامة وأهدافها . فال Subjcet أصبح فعيلا وال Predicete أضحى تميما . ثم تمضي فتجدها نفذت الى المحافل بحملات مركزة وجدل مصطنع يدور حول الاخذ بقواعد جديدة تقرب أسباب العربية للدارسين .

وقد تجاهل هؤلاء أن الاعراب هو الابانة ، فهو ايضاح لحركة الكلمة في الجملة بدلالة معناها ، وأن المفاعيل المختلفة ، وان اتحدت حركتها فقد تباينت اسماؤها لتباين معانيها ، فادراك أن الكلمة مفعول يحدد حركتها ، أما ادراك أي المفاعيل هي ، فيحدد الحركة ومدلول الجملة كلها في آن واحد ، مثال ذلك في قول الفرزدق :

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

فعرفان تميم (أي مطلق مفعول بلغتهم) وقد صحت بذلك حركتها ، ولكن معنى البيت لن يتضح الا اذا أدركت أن عرفان هنا مفعول لاجله .

وقد تجاهلوا كذلك ، أن اللغة بناء متكامل ، سابق في وجوده على القواعد التي وضعت ضابطة له بالملاحظة والاستقراء ، فهم بين أحد أمرين : اما أن يتبع التبسيط حذف الوجه الجائز في اللغة أصلا ، بنصوصه وامكان التعبير به ، وفي هذا افقار للغة من وجه ، وتعريضها للخلل والتلاعب من وجه آخر ، واما ان يقتصرالتبسيط على القاعدة في التدريس ، وهذا لا يعدو أن يكون تجاهلا لشيء موجود .

ولست أحسب انهم على شيء من الغباء ، فهم يدركون الاهداف البعيدة لدعوتهم ، كما يدركون أن

اللغة العربية ذات بناء حركي ، تتحكم الحركة في الكلمة معنى ، وصرفا واعرابا ، وتفاعيل شعر ، فاذا استطاعوا بلبلة القاعدة ، واسكان الحركة ، ماتت الفصحى ، وازدهرت على أنقاضها اللهجات العامية • هم يدركون أن الامر يبدأ بقاعدة وينتهي بفوضى وليس الشعر المنفلت من الوزن والقافية عنهم ببعيد ، ان لم يكن موجة من أمواج حركتهم هذه ، فقد بدأ بتعديل التفاعيل قصرا واطالة ثم انتهى الى ادخال بحر ببحر ، ومزج شعر بنثر ، ثم التردي في هاوية الاسفاف والثرثرة •

ثم كيف لا تتعارض الدعوة الى التبسيط مع الدعوى بقصور اللغة عن مواجهة حاجات العصر ، وهي الحجة التي طالما تشدقوا بها ، واتخذوا منها مبررا وسببا للتآمر ، ولست أعلم بالضبط ما يعنون بالقصور ، ان كانوا يعنون أن الكلمة العربية قاصرة عن أداء المعنى بالدقة اللازمة ، فهذا كذب محض ، فليس ثمة أقدر من الضاد على التعبير عن خلجات النفس ، أو تمييز الفوارق بين المتشابهات وان كانوا يعنون عجزها عن مواجهة هذا الفيض من المخترعات والافكار التي تحتاج الى وضع مصطلحات ، وقد بلغت من الكثرة والشيوع والالتصاق بالحياة ، حدا لا يمكن معه التعبير بدونها ، فاضحت اللغة بها كالثوب المرقع ، فهذه هي المغالطة والافتراء ، فالعيب يكمن فيهم لا فيها فقد استطاعت هي مرة ، حين تصدت لحضارتين من أخصب ما عرف التاريخ ، ثم حملت بعد ذلك كل ما جادت به قريحة العرب بعد التلقيح ، وتستطيع مرة أخرى ، لو انصرفوا الى الاحياء والتقصي والكشف عن زخمها المخزون ، بدل التآمر بالمسخ والتبسيط والتحوير •

محمود البارودي

« الانسان المتمرد » لالبير كامو

بقلم : السير هربرت ريد[1]

ترجمة : رباح هنلر شيخ الارض

« مهداة الى الاخ المتمرد السيد همام دروزة »
« آملا ان يرتقي تمرده من مستوى الجنوح الى صعيد الثورة . »

بدأت تنقشع ، بنشر هذا الكتاب ، سحابة كانت قد غيمت على العقل الاوربي لاكثر من قرن من الزمان. فقد بدا من المستحيل مرة أخرى ، وبعد حقب من القلق واليأس والعدمية أن نأمل ، أن نحصل من جديد على الثقة بالانسان وبالمستقبل .

ولم يعتقنا « السيد كامو »[2] عن طريق البلاغة ، ولا بأي ضرب من ضروب الاستمالة والاقناع ، بل انه فعل ذلك بصفاء ذكائه وجلاء عقله ، اذ أن كتابه هذا أثر في المنطق . وكما أنه بدأ في نتاجه الاول « اسطورة سيزيف »[3] بالتأمل في الحياة أو عدم الحياة ، أعني في تورط الفعل الانتحاري ، كذلك هو يبدأ في هذا الكتاب ، بالتأمل في المكابدة أو عدم المكابدة ، أعني في تورط الفعل التمردي . فنحن اذا ما قررنا أن نحيا ، فذلك يجب أن يكون بسبب أننا قد قررنا أن لوجودنا الشخصي بعض القيمة الايجابية ، واذا ما قررنا أن نتمرد ، فذلك يجب أن يكون بسبب أننا قد قررنا أن للمجتمع البشري بعض القيمة الايجابية أيضا ، وفي كل حالة من هاتيك ليست القيم « متيسرة » — فذلك هو خداع الواهم الذي يجري بوساطة الدين او الفلسفة .

ولكن يجب ان تستخرج هذه القيم من الظروف الحياتية، وأن تقبل بحذاء المعاناة المتأتية من حدود الممكن . والقيم الاجتماعية هي سنن السلوك الكامنة في مصير فاجع ، وهي لتمنح أملا ابتداعيا .

ان كتاب الانسان المتمرد[4] ، والحق يقال ، يمنحنا فلسفة في علم السياسة ، فهو ضرب من الكتب ظهر في فرنسة وحدها، وكرس بادراك عقلي حاد للفحص عن مفاهيم كالحرية والرعب . وهو ليس نتاجا نظريا بل على النقيض من ذلك ، امتحان الحالة الواقعة في أوربة اليوم ، بشكل يقوم على معرفة تاريخية دقيقة لتطورها الاجتماعي في القرنين السالفين . وهو — في التحليل النهائي — « محاولة لتفهم الازمنة » .

يعتقد « كامو » أن الثورة هي واحدة من « الابعاد الاساسية » للجنس البشري . ومن الباطل أن نجحد حقيقتها التاريخية ، بل علينا بالاحرى أن ننشد فيها مبدأ الوجود . على ان طبيعة الثورة قد تغيرت بصورة جذرية في أيامنا هذه . فهي لم تعد ثورة العبيد على السادة، حتى ولا ثورة الفقراء على الاغنياء ، بل هي ثورة تجريدية (ميتافيزيكية او بعد فيزيائية) ، ثورة الانسان على ظروف الحياة ، وفوق ذلك ثورة على الخليقة عينها . وهي في آن واحد تلهف للصفاء ووحدة الفكر ، بل حتى أنها توقان بشكل متناقض للنظام . وقد حدث كل ذلك ، على الاقل ، تحت ارشاد « كامو » الفكري .

فقد استعرض تاريخ هذه الثورة التجريدية بادئا

---

(1) « السير هربرت ريد » فيلسوف انكليزي معاصر من علماء الجمال . (سائر الحواشي من وضع المترجم) .

(2) « البير كامو » (موندوفي ١٩١٣ — ١٩٦٠) . ثمة احسن دراسة عنه كتاب « كامو والتمرد » تاليف « روبير دو لوبيه » وترجمة « د . سهيل ادريس » (بيروت ١٩٥٥) .

(3) رواية صدرت عن دار « غاليمار » عام (١٩٤٣) وتضم مع « الانسان المتمرد » : « فلسفة كامو الاساسية » .

(4) « أثر مؤرخ وفيلسوف » صدر عام (١٩٥١) .

بانكار « ساد » [٥] المطلق ، ومنوها عن « بودلير » [٦] و « المتأنقين » ، عابرا بـ « شتايرنر » [٧] و « نيتشه » [٨] و « موتريامون » و « الواقعيين » • غير ان موقفه من هؤلاء الاشخاص النبوئيين لم يكن بشكل غير متعاطف معهم • ثم من الممتع أن نلاحظ مرة أخرى تأثير « آندري بريتون » على العقل المعاصر • ويعود « كامو » اثر ذلك الى تاريخ الثورة بالمعنى السياسي ، فيصبح هدفه الاساسي رسم تمييز جلي بين التمرد والثورة ، وهنا ، وليس للمرة الاولى ، تقرب أفكار « كامو » من « الفوضوية » (أناركيزم) [٩] لانه يدرك ان الثورة (ريفوليوشن) تتضمن على الدوام تأسيس حكومة جديدة ، بينما التمرد (ريبيليون) هو فعل من غير تدبر مخرج ، أعني هو احتجاج تلقائي • وقد استعرض « كامو » تاريخ الثورة الفرنسية وقتل الملوك والالوهية ، وأبان كيف قاد نمط الثورة من « روسو » [١٠] حتى « ستالين » [١١] الى حكم الفرد المتسلط • ثم ان « سان جوست » [١٢] هو رائد « لينين » [١٣] • ولكن اذا ما تفحصنا عن قوانين « الاخاء الاممي » (١٨٦٤–١٨٦٧) التي نسقها « سان جوست » الذي خصص له « كامو » بضعة صفحات ممتعة للغاية (مشيرا على سبيل المثال الى انه قد أعلن الحرب على وثنية العلم ، وحده بالنسبة لجيله ، وبعمق استثنائي) • قد وجد ملحا على تبعية الفرد المطلقة لجمعية الفعل المركزية •

وقد بين « كامو » ان جميع الثورات في الازمنة الحديثة قد أدت الى تعزيز قوة الدولة ، اذ يقول : « ان النمو الغريب والمرعب للدولة الحديثة كنتيجة منطقية للمطامع المهنية والفلسفية المتطرفة ، يمكن أن يعتبر غريبا عن الروح الحقيقية للثورة • غير انه مع ذلك قد تمخض عن ولادة الروح الثورية لعصرنا الحاضر •

---

(٥) « المركيزدوساد » (باريس ١٧٤٠ – ١٨١٤) كاتب فرنسي ، ذاعت له شهرة رديئة بسبب عاداته السيئة ، وقضي عليه بالموت عام ١٧٧٢ فهرب واعيد توقيفه ، وزج اخيرا في « الباستيل » حيث كتب مسرحيات وروايات من اشهرها « جوستين » (١٧٩١) و « جولييت » (١٧٩٢) و « فلسفة داخل السجن » (١٧٩٣) و « جرائم الحب » (١٨٠٠) واليه تعود « السادية » •

(٦) « شارل بودلير » (باريس ١٨٢١ – ١٨٦٧) شاعر فرنسي الف « ازهار الشر » واشعاره غريبة احيانا ولكنها علمية مدروسة •

(٧) « ماركس شتايرنر » (١٨٠٦ – ١٨٥٦) اسمه الحقيقي « جوهان شميدت » ولقب بسبب جبهته العالية بشتايرنر شتايرن – جبهة) • ثم اتخذ من هذا اللقب توقيعا لمؤلفاته ومقالاته مما جعل الماركسيين يعتبرون هذا « انشطارا داخليا عميقا في شخصيته » وهو من مفكري « الفوضوية » ويعتبر « مفكرا عبقريا رائع الاصالة وبورجوازيا صغيرا مضطربا خجولا ضحية الناس والاشياء » •

(٨) « فريدريخ نيتشه » (١٨٤٤ – ١٩٠٠) كاتب الماني يعتبر « اديبا مطبوعا حشر في زمرة الفلاسفة » كما يعتبر وجوديا كتب في الانسان ومصيره والاخلاق وقيمتها • اخذ اركان مذهبه عن « شوبنهور » و « فاجز » واسلوبه عنيف • الف « نشاة الفاجعة » و « هكذا تكلم زارا » و « ما وراء الخير والشر » و « أصل الاخلاق » و « الفجر » وله تاثير عميق على شباب اوربة المحدثين •

(٩) « الفوضوية » حركة سياسية نشات في فرنسة وقادها « برود هون » وذاعت في اميركا حيث قادها « ثورو » و « وارن » و « تكر » وفي روسية حيث حمل لواءها « باكونين » و « كروبتكين » و « تلستوي » • وتنادي بضرورة الغاء نظم الملكية الخاصة ونظم الدولة والدين والنظم الادارية والتشريعية وغلق دور العدالة وتسريح الجيش والشرطة وما عدا ذلك من مظاهر السيادة في الدولة •

(١٠) « جان جاك روسو » (جنيف ١٧١٢ – ١٧٧٨) فيلسوف وكاتب فرنسي خاض غمار حياة شريدة وكتب في الادب والاجتماع والتربية وكان لكتاباته تاثير عظيم على اذهان المجتمع الفرنسي في أواخر القرن الثامن عشر • من مؤلفاته « العقد الاجتماعي » و « اميل » و « الاعترافات » •

(١١) « ستالين » احد قادة روسية ، بعد لينين حكمها بالاستبداد في احرج ازماتها ، وتخبط في سياسته ، وصفى خصومه في الداخل بالارهاب ممن ناهضوا حكمه أو رموا للتعاون مع الاجانب ، وقتل زميليه في « اللجنة السياسية » ، ومات بعد ان خلف روسية مليعة الجانب •

(١٢) « لوي انطوان ليون دوسان جوست » (ديسيز ١٧٦٧ – باريس ١٧٩٤) ثائر فرنسي من تلامذة « روسو » و « روبسبيير » ، كان احد اعضاء « جمعية السلامة العامة » ، وشن الارهاب مع « روبسبيير » واشترك بقتل « دانتون » •

(١٣) « فلاديمير لينين » (سمبرسك ١٨٧٠ – ١٩٢٤) زعيم ثورة ١٩١٧ في روسية وقائدها المفكر ، تقلد منصب رئيس مجلس مفوضي الشعب في الاتحاد السوفياتي وقاد الثورة على « ترتسكي » وتنازل في معاهدة « برست ليتوفسك » للالمان عن قطعة من بلاده اسمه الاصلي « اليانوف » ومن اشهر كتبه « الثورة » و « الراسمالية اعلى مراحل الاستعمار » •

ولئن انتهى حلم « ماركس » [١٤] النبوئي ، وتنبؤات « هيجل » [١٥] او « نيتشه » المفرطة الالهام ، بعد أن أصبحت « مدينة الله » [١٦] والارض سواء ، بالشعوذة في الدولة المعقولة أو اللامعقولة على حد سواء ، لكن واحدة منهما في كلتا الحالتين قد ارتكزت على الارهاب • • وليست الثورات المضادة ل « الفاشية » [١٧] تؤدي الا الى تسليح القضية العامة •

ويظهر « كامو » في صفحاته الاخيرة الميزة الحقيقية لفكرته • ولقد كان من السهولة بمكان ان يتقهقر الى اليأس والجمود ، حيال الحقائق المنسقة المعروضة في هذا الكتاب ، غير أن « كامو » استبدل فكرة « الحدود » اذ يقول : « انا لنعرف في ختام هذا التحقيق الطويل في أمر التمرد والعدمية (نهلسيزم) [١٨] ، ان التمرد من عبر حدود أخرى الا التذرع التاريخي يعني العبودية المطلقة • وللتخلص من هذا المصير يجب على العقل الثوري ، اذا ما رغب بالبقاء حيا ، ان يعود من جديد الى ينابيع التمرد ، ليستقي الهامه من اسلوب التفكير الوحيد ، الامين لاصوله ، الذي يعترف بالحدود • » ويشير « كامو » ، كيما يوضح معناه ، الى النقابية (سندكاليزم) [١٩] تلك الحركة التي أقيمت في علم السياسة على الوحدة العضوية للخلية والتي هي انكار للمركزية المجردة والمستبدة • وقد اقتبس عن « تولين » قوله : ان الكائنات البشرية تعتق أنفسها بناء على قواعد الجماعات الطبيعية وحسب • وفي هذا يقول « كامو » : « ان الجماهير المتوجهة ضد الدولة ، والحرية المتزنة المتوجهة ضد الطغيان المعقول ، وأخيرا الفردية الغيرية الموجهة ضد الاستعمار الجماهيري هي بهذا الشكل تناقضات تعبر من جديد عن مقاومة الاعتدال الذي لا نهاية له للتطرف الذي انعش تاريخ الغرب منذ أوان العالم القديم • » وان هذا التقليد في « الاجراء » يعود الى عالم البحر المتوسط ، وقد تقوض بتطرف فكريات الجرمن (جرمن ديولوجي) وابدية المسيحية ، وذلك بالنفي الطبيعي •

ان القمع ليس نقيض الثورة • فالثورة تتضمن في ذاتها فكرة القمع عينها • وان « الاعتدال الذي يولد من التمرد لا يعيش الا بالتمرد ، فهو لصراع أزلي يخلق باستمرار ويتسلط عليه بالذكاء • • • فمهما يمكن ان نفعل فا ن التطرف سيحافظ أبدا على مكانته من فؤاد الانسان

---

(١٤) «كارل ماركس » (تريف ١٨١٨ ـ ١٨٨٣) واضع المذهب المعروف باسمه ، أصدر مع « انجلز » : « البيـان الشيوعي » ووضع « رأس المال » يرى ان « تناقضات الراسمالية ستؤدي الى انهيارها والى قيام مجتمع اشتراكي تصبح فيه أدوات الانتاج مملوكة ملكية جماعية » وكشف عن بعض القوانين التي تتحكم في الاقتصاد كما يقول بعض القوم ولكن آخرين يرون ان نظريته كانت تدور حول الهجوم على الراسمالية وليس على السياسة الاقتصادية كما هي •

(١٥) « هيجل » (شتوتجارت ١٧٧٠ ـ ١٨٣١) فيلسوف الماني عقلي ، والمنطق أساس تفكيره ونظرياته • وفي رأيه ان فلسفة العقل ما هي الا تطبيق مبادىء المنطق وان عناصرها المستورة والاخلاقية ذات صلة وثيقة بفكرة التطور ، وقـد بلغت فيه الفلسفة العقلية ذروتها كما يقول بعضهم • وقد الف « المنطق وفلسفة العقل » و « فلسفة التاريخ » و « فلسفة الدين » •

(١٦) كتاب شهير للقديس اوغسطين (٣٥٤ ـ ٤٣٠) في فقه الوثنية وفلسفة التاريخ • وهو اهم كتاب في العصور الوسطى • صدر (٤٢٦ م) •

(١٧) « الفاشية » حركة ايطالية نظمها وتزعمها « موسوليني » وانضوت تحت لوائها القوى الوطنية في ايطالية باسم (فاسيزمو) اريد بها مقاومـة الخطر الشيوعي والفوضى الصناعية ، ثم توسع نطاق مبادئها واهدافها ، وتحولت الى حركة انقلابية واصلاحية كبرى ، ونزعت الى الاستعمار • وقد اشتق اسمها من حزمة العصي (فاسيا) والمطرقة ، وهما شعار الدولة في رومة القديمة •

(١٨) « العدمية » حركة سياسية وادبية لعبت في تاريخ روسية دورا بارزا ، وأول من استعمل اللفظ «ترجنيف» في « الآباء والابناء » (١٨٦٢) • وهي ترى في النظم القديمة كالدين وحياة الاسرة والملكية الشخصية والادارة المركزية عقبات في سبيل النهوض والتقدم وترمي الى محوها واستبدالها بالعلوم والعلائق الاجتماعية الحرة والملكية العامة والحكم الديمقراطي واخص ما يميزها « انكار كل ما يفرض على الفرد انكارا مطلقا يستند الى الحرية الفردية » وكانت تصارع القيصرية باسلحة التآمر والقتل والاغتيال المنظم واخفقت بذلك في تحقيق غاياتها بالعنف ولكنها مهدت لثورة (١٩١٧) •

(١٩) مذهب اشتراكي متطرف كما يعتبره بعض القوم •

ما علينـــا

شعر : مدحت عكاش

هـذه مهجتي ، فداء لعينيك ، وهذا قلبي الـذي عـاد حيـا
نعمـة أنت ، نظـرة منك تكفي ان تعيد الزمان غضا نديـا
آخـر الحسن ، ما انتهيت اليه ، فاسألي عن جلاله ناظريا
أنا أهواك ، كل طل أبخيل في ولوعي ، أراه عندي سخيا

* * *

هـذه مهجتي ، وعيني على الحسن حنـان اذا مررت بقربي
اعيون ؟ أم الملاحـة ترنو ؟ كل درب الى الملاحـة دربي
شـفة مـا أرى ؟ وآمنت باللـين ، فسبحان مـا تفنن ربي
مـا علينـا ؟ ولا علينـا ، سـخيا كل صب منا يهيم بصب

اذهلتني

شعر : سعيد ابو الحسن

هـــذي الغيـوم تطـل من عينيـك خضراء الفتـون
امـواج بحـــر لا تـرى أعماقـه غـــير الظنـون
أذهلتنـــي عن واقعـي ومضيت بي عبر السـنين
فغـــدوت لا أدري أفي حلـم أنـا أم في يقـين
لولا الحديث العـذب ما صدقت ما شهدت عيوني
يـا لحظـة عشنا بهـا آلاف آلاف القـــرون
عودي فـلا كان الزمان ولا المـدى ان لم تكوني

حيث تقوم العزلة . واننا لنحمل جميعا أماكن نفينا ، وجرائمنا ، وعيوبنا في أعماقنا ، غير أن واجبنا ليس في ان نطلقها في العـالم ، بل في ان نمـاحكهـا في أنفسنا وفي الآخرين . وما زال التمرد يقـوم اليـوم على قواعـد الصراع ، بعكس ما يقول « باري » من ان العلماني لن يستسلم . وهكـذا فان أصل الشكل وينبوع الحيـاة الحقيقية يجعلنا دائما منتصبين في حركة التاريخ الهمجية غير المنتظمة . »

ويشب كامو في نهاية صفحاته الى ذرى الفصاحة التي تبهج النفوس . فهو كتاب ملهم ، بل هو كتـاب يجب أن يقـرأ بصورة خاصة من قبـل جميع الذين يرغبون برؤية المحرض الفطري للثورة ، ملهما بروح فعالة جـديدة ، ومن قبل اولئك الذين يفهمون « ان التمرد لا يمكن ان يوجد الا بصورة غريبة من الحب.» واننا لنستطيع ، من غير ان ندقق ، بل أن نمنح كل شيء في سبيل الحياة والاحياء ، وبتلك الطريقة وحدها ، ان نظهر ان « الكرم الحقيقي حيال المستقبل يقوم بان نعطي كل شيء للحاضر . »

ـ عن الانكليزية ـ

الفجيعة

شعر : عبد الله سنان المحمد

أي ذنب جنته أيدي الصغار — فيجازون بالفنا والدمار
أي حد تجاوزوه فتمتد — الى مثلهم يد الاقدار
تتهاوى من فوقهم قطع النار وقد حوصروا ببطن الدار
يا الهي أين المفر وقد ضا — قت عليهم واشتد خنق الحصار
صارعو الموت جهدهم وهم الا — طفال والموت يكن بالقهار
يتعالى صراخهم والمنايا — حائمات عليهم كالضواري
طلبوا الغوث والنجاة من النار فلم يهتدوا لدرب الفرار
يتهاوون في الجحيم كما تهو — ى الفراشات في لهيب النار
وتراهم بين الجنادل صرعى — يتهاوى الجدار فوق الجدار
أخرجوا كالشواء أشلاء والار — واح طارت الى العليم الباري
وترى الاهل والاقارب في حا — ل تذيب الصفا من الاكدار
في عويل وفي بكاء شديد — ودموع تسيل كالانهار
فقدوا أنفس الوجود لديهم — وأعز الورى بلا انكار
يا لهول المصاب اذ وجدوا أبناءهم في مدارج الحفار
يا لهول المصاب انهم في — عمر ورد الربيع والازهار
انهم كالبراعم اللدن مرتها — عشاء قساوة الاعصار
فغدا عودها المنضر ذوبا — والتوى كالكئيب بعد ازدهار
وتعالت أرواحهم طاهرات — لم يشبها تلوث الاوزار
صعدا حفها الى الملأ الأعلى — ملاك لجنة الابرار
شهداء على قبورهم هلت — هطولا سحائب الامطار
لا تسلني عن الفجيعة فالخطب — جليل يسيء وجه النهار
ان وقع المصاب في كل قلب — مثل وقع المهند البتار
اية يا (شهر زاد) أي مصاب — بعد ان كنت كعبة السمار
كان فيك الفراغ يقتل حتى — ويح نفس قتلت سرب الصغار
حسبك الله (شهر زاد) أما كا — نت لديك حماية الاحرار
قد نقلت الاوار منك الى كل — فؤاد حطمته بالاوار
وتركت الاحزان في كل بيت — وغدا الجار يعتني بالجار
جبر الله قلب كل مصاب — من ذويهم صغيرهم والكبار
وأعاد السلو والصبر للآ — باء والامهات والاصهار
وسقى الله تربة دفنوا فيها — ونقاهم من الاوضار

عبد الله سنان المحمد

الحذاء الابيض

بقلم : نديم أحمد طابوشه

لم تستطع « امستردام » ، بشوارعها وواجهات محلاتها ان تنتزع « ماهر سعيد » من وحدته وكآبته فابتعد ، بخطى سريعة ، عن الشوارع الرئيسية وضجتها والتجأ الى أقرب طريق فرعي ، فرأى جسرا صغيرا فوق احدى قنوات « امستردام » المشهورة ، فوقف عليه ليتلهى بحركة الماء تارة ، وبحركة الزوارق البخارية تارة أخرى ..

بوده ان يركب في أحد تلك الزوارق ، كما يفعل السواح فيستمتع بجمال المدينة وخاصة القسم الاثري منها .. الا ان ذلك لن يخفف من وحدته ، بل على العكس ، ربما زاد في ايلامه ، فلقد ركبا مرة في ممر « غدانسك » ولا يريد أن يكررها وحيدا ، ولو كان ذلك في قناة أخرى ، وفي بلد آخر .

أخرى ، وفي بلد آخر .

.. وحدق الى الماء ..

كان القلق قد نهش قلبه ، والكآبة بادية في عينيه السوداوين ، واليأس كان قد انتزع آخر ابتسامة له ، منذ يومين ، وذلك عندما حبس نفسه طيلة ذلك اليوم ، بانتظار رسالة كان المفروض ان تصل اليه .

صحيح ان امتع اللحظات على النفس تلك التي يقف الانسان فيها ، منتظرا ، يحدوه الامل .. ولكن عندما يموت الامل وتطفأ آخر جذوة فيه .. تغدو أشقى لحظات العمر .. وماهر كان يعاني اشقى لحظات الحياة .. فهو بانتظار رسالة ، مات الامل في وصولها ، وغدا ، عندما يطير الى القاهرة ، تطفأ آخر جذوة فيه ..

يجب ان تصل اليه هذا اليوم ، حتى يستطيع ان يتابع سفره مغتبطا ، هادىء البال .

تحرك « ماهر » عدة خطوات الى الامام . ثم ارخى بثقله الى عمود رخامي صغير ، وضع مع زملاء له على حافتي ذلك الجسر ، ثم أخذ يلوذ من كآبته ووحدته بذكرى طيبة النشر ، حتى انه يقيس عمره بعدد لحظاتها ..

منذ ثلاثة أشهر ، وفي عطلة الاسبوع الاول من نيسان على التحديد ، كان جالسا في مكان منعزل ، في مقهى ، « بولونيا » .. ليريح أعصابه المنهكة ، تحت أقسى الظروف للعمل المتواصل بموسيقى شجية يقدمها عازف كمان يعتبره ماهر ، ولو بدا رخيص الثياب ، سيء الهندام ، عازفا موهوبا .

.. وفي لحظة من لحظات اليسر ، التي كان يعيشها مع ذلك العازف عكر عليه صفو وحدته وتأملاته .. صوت يعرفه حق المعرفة .

ـ ماهر ! نعمت مساء أيها الصديق !

فالتفت اليها .. لقد صدق احساسه انها « ايزا »

ونهض يتكلف ، وحياها بشيء من البشاشة قائلا : أهلا ايزا تفضلي !

وقدم لها كرسيا فجلست ولم تطل فترة ذلك اللحن ، فلقد أعلن عن نهايته بتصفيق موجز ، وانحناءة خفيفة من العازف ، وسط ضباب خفيف محبب من الدخان ..

وعندما هدأت الايدي ، كان ماهر يفكر بما استجد عليه ، فبدا شاردا الا ان ايزا اعادته الى وعيه عندما خاطبته : ها .. الى اين وصلت بتفكيرك ؟ . أم انه سر؟

كان شيء في دخيلته يدفعه للقول : ايتها «المتمنعة» ما شأنك بتفكيري ؟

الا ان بقايا انسانية منعته فقال بشبه ابتسام : ظننت ان بولونيا بلاد شاسعة .. ووارسو مدينة كبيرة ؟

فأجابت بفرحة المنتصر : ها عظيم .. تقصد كيف

التقينا ؟ انها ببساطة العارف بما حوله .. ألم تقل انك تستمتع بهذه الجلسة عصر كل سبت حتى يحين وقت العشاء ؟ فأجاب ، وهو يبتسم باخلاص : اذن وارسو كبيرة كعهدي بها ! ..

ــ : طبعا كبيرة ، كعهدنا بها .. ومطاعمها أجمل ما فيها . بامكانك ان تختار المكان المناسب لهذه الليلة .. اذا كنت لم ترتبط بعد بأحد ..

ــ : انه لمن دواعي سروري !.

قال ذلك باستسلام ظاهر ، والتفت صوب العازف الذي أخذ يعزف لحنا جديدا فقالت وهي تشاركه بالتطلع : ان اعجابك في محله !

قالت ذلك على سبيل المجاملة ، حتى يتمكنا من استئناف الحديث الا انها اجبرت على الاصغاء ، فلقد كان ماهر قد نأى عنها كثيرا بذهنه وعينيه ..

.. ماذا بامكانه ان يفعل ؟!

.. ماذا سيقول لزميليه ولصديقته لوجا ؟ انه يكره ان يتخلف عن سهرة تنشيط ذهنه .. وتوهبه الشيء الكثير ! ان هذه « المتمنعة » لشيء مقرف حقا : .. وان هذا الوجه الصبوح والعينين الخضراوين لن يبدلا من الامر شيئا .

الا تكفي ان تكون « متمنعة » حتى تكون مقرفة ؟

ان الذنب ذنبه ! .. فلقد سبق له ان دعاهاالسهرة، ولولا ذلك لما أتت ، وتجرأت بالسؤال .

صحيح كان في طلبه الكثيرمن دبلوماسية الترحيب، والصدق المفتعل ، الا انه يحتوي أيضا ، على الكثير من حرارة الالفاظ ، وحسن تزويقها وتلوينها ، وأمر الدعوة يهون لو انه لم يأت الساعة اللعينة ليستمع لهذا العازف المأفون !

.. من يصدق ان ماهرا يتهرب من فتاة كانبلاج الصبح رقة وتبسما ؟

.. من يصدق انه يريد ان يتهرب منها رغم ما عانته من مشقة السفر ؟ في حين انه لم يمض على التقائهما في محطة « غدينيا » أكثر من اسبوع ..

لقد كان في طريقه الى وارسو .. فلم يستطع أن يتحرك من مكانه حتى تم بينهما التعارف في شبه تهريج لو سمحت سيدتي وارشدتني للرصيف الثالث ، ولقطار وارسو بالذات !

ــ : نحن عليه والقطار سيمر من أمامنا ، بعد خمس دقائق .. الا تجيد القراءة يا سيدي ، كما تجيد التحدث ؟ ارتبك قليلا ، الا انه عاد فقبض على زمام الامر بيد حديدية كعادته وقال :

ــ : أرجو المعذرة يا سيدتي لاشغالك بهذهالتوافه، علما باني أجيد القراءة كما اجيد التحدث .. غير اني لا أحب أن أغامر ، فأضع رجلي على طوبة ، لم أجد أحدا من أهل البلاد وهو يطؤها قبلي .

ــ : معقول : وخاصة مع القطارات فعادتها ان لا تنتظر المتأخر .. ولا ترد المخطيء الساهي !

ثم راحت تتفرس في وجهه لبرهة وقالت وكأنها ارتاحت لما رأت : لا تخشى الطوبة ، سأطؤها قبلك !

ــ : افهم انك مسافرة الى وارسو ؟

ــ : نعم اتوافق على ان نكون رفيقي سفر ؟

وظن ان الامر قد انتهى الى ما يريد وبفرحة ، عبرت عنها عيناه وشفتاه ، قال :

ــ : ذلك شرف لي .. وسرور الى نفسي !

بينما قال في سريرته سأطلق عليهارحلةالفردوس!

.. الظاهر انه تسرع في التسمية اذ لم تقع عينه على شعاع أمل ولو كان خابيا . وماهر من الاشخاص الذين يخلقون الاشعة من الظلام الدامس !

ولما وصل الى وارسو ، تأكد له فشله نهائيا فسماها « المتمنعة » ارضاء لغروره وغريزته ، وكان لا زال متظاهرا .. باندفاعه .. عند توديعها ..

.. وعندما داهمته في المقهى كان عليه ان يحافظ على تظاهره ولا بأس في ذلك ، ما دام الامر قد خرج من بين يديه ، كل ما يلزمه بضع ساعات ، يعيشنها دون مغنم ، تكون بمثابة الستاره في نهاية التمثيلية ..

ولكن عليه أن يعتبر بها •• فلا ينطلق كالسهم بدون روية كعادته ••

واستفاق مع تصفيق الجمهور ، فصفق معه •• والتفت اليها ••

كانت تبتسم •• بوده ان تنطبع هذه الابتسامة في ذاكرته الى الابد •• فهي نقية كابتسامة الطفل •• مشرقة كفجر نيسان العظيم •• هادئة كلون البنفسج ••

وفي غمرة من النشوة صفق للنادل وهو يقول لها : ماذا ستشرب « شمس » وارسو

أجابت والسرور يغمرها : ليمون

وبعد لحظات وضع الليمون أمامها •• فرشفت منه مرة وقالت :

ـ : ما الذي يعجبك في بلادي ؟

ـ : تعاطف الاصدقاء !

ـ : وما الذي تكره •• ؟

ـ : الصحافة بما فيها •• لانها ، كما قلت لك ، تكتب ، عن الشرق العربي ، بلسان يهودي •

ـ : لا أملك سوى الاعتذار •• فلقد وعدتك بالاتصال بالمجلة لتصحيح ما كتب فيها •• ولقد رحبوا في باديء الامر ••

ثم اعتذروا بعد ان قدمت لهم الريبورتاج حسب وصفك ، بحجة ان للجريدة منهجا لا تخرج عليه •• اني آسفة يا ماهر •• فلقد كنت مصيبا !•

وبعد فترة صمت عادت تقول : في الواقع من الصعوبة بمكان تغيير أفكار الناس في بلادنا فكيف رجال الصحافة ؟ لقد سمعت مئات المرات ، كواحدة من هذا الشعب ، ان المرأة عندكم لا تخرج من البيت الا اذا تزوجت واذا تزوجت قبعت في بيت الزوجية حتى توافيها المنية ••

ان اعتقادي السابق رغم ايماني الجديد يراودني أحيانا مع اني لا زلت خالصة النية !•

ـ : ما في ذلك شك •• وهو أمر طبيعي •• حتى يتمكن الايمان الجديد نهائيا •• ومن ثم فاني اشكرك لما قمت به من مجهود !••

وساد الصمت لبرهة ثم عاد فسألها : أي مطعم تفضلين السهر فيه ؟•

ـ : أرجو ان تختاره بنفسك !

لا بأس ليذهب بها بعيدا عن مطعم « فرشافا » حيث سيلتقي الاصدقاء ، فقال باندفاع :

ـ : ما رأيك لو ذهبنا الى مطعم « قصر الثقافة »

ـ : عظيم ! اني موافقة !

واتى النادل فدفع ماهر ثمن المشروبين ••

ثم عاد يسألها من جديد : ما رأيك في نزهة قصيرة ؟

ـ : لا بأس أيضا •• هيا !

ونهضت فنهض خلفها ••

وعندما غادرا المكان ودخلا حدائق « قصر الثقافة » المواجه لذلك المقهى •• كان « ماهر » قد اعترف لنفسه بان شيطان الغريزة قد ولى هاربا •• فالفتاة على ما يظهر، بما تقدم من أحاديث ، أمنع من ان يصل اليها •• انها تفرض نفسها عليه بثقافتها وحنكتها •• وهو يكره هذا النوع من الفتيات •• ولكنه لا يستطيع ان يستعدي « ايزا » على نفسه •• ربما لجمالها •• وربما لانها الفتاة الاولى التي فشل معها •• بينما استطاعت هي ان تروضه••

ربما لان الامر قد خرج من يده « فليكن شريفا » مرة واحدة في حياته •

قالت له وكانا لا يزالان يسيران في ممرات الحدائق: هل بامكانك ان تصف لي فتاة الشرق ؟

ـ : طبعا •• انها ياسيدتي ، سمراء على الاغلب، شعرها فاحم بلون الليل ، عيونها سود ، ومن صفاتها الاخلاص ، والتفاني بعد الزواج ، واما قبله فهي كثيرا ما تكون كتلة من الاحساس والمشاعر ، وهي تزين جاهدة فارس أحلامها •• وربما عجلت في وضع صورة له في مخيلتها وهي لا تزال في الثانية عشرة من عمرها•• وهي تقدس الزواج عموما ، وتعتبره أعلى مرحلة يمكن

ان يصل اليها الانسان •• فتتهيأ له بشكل فطري لطيف، وكثيرا ما تتفاءل باللون الابيض فلا يمكن ان تخطو نحو الحب والزواج الا بثوب وحذاء ابيضين •• وهي عندما تحلم يدور حلمها ، في أكثر الاحيان ، حول الحذاء الابيض ، والبذلة البيضاء •

•• ودخلا الى المطعم لقضاء سهرة ممتعة ، كان ماهر خلالها انسانا يحدث ويرقص بدون أجر شرط ان لا يلتقي بها مرة أخرى !

الا ان القدر لم يسعفه فلقد التقى بها مرة أخرى وكان ساخطا الا انه لم يمض طويل وقت على السهرة حتى دهش ماهـر من نفسه فلقد بحث في دخيلته عن السخط فلم يجد له أثرا ••

ترى ماذا فعلت به هذه الشقراء الساحرة ؟

أين التفنن في الغزل ؟

أين الجسارة المعهـودة فيـه ؟ بل أين شـيطان الغريزة ؟

هل مات في نفسه الى الابد ؟ •

لنفرض انه مات •• هل يريد ان يصبح اسير فتاة ولو كان وجهها صبوحا ؟ ويودع حياةالبهجةوالمسرة؟••

أبدا هذا لن يصير ، ثم عاد وجدد العهد على ان لا يلتقي بها مرة أخرى •• وراسلته ••

فرد عليها برسالة وقال في نفسه وهو يرمي بها في صندوق للبريد : انها اول واخر رسالة لها !•

وكتبت له من جديد ، فعاد ورد « على رسالتها وقال في نفسه : لن اكتب مرة أخرى !

وابرقت له تعلمه فيها بأنها ستصل الى وارسو في الساعة الخامسة من يوم السبت فرمى بالبرقية جانبابدون اهتمام وهو يلعن اللحظة التي تعرف فيها عليها :

وفي الخامسـة الا ربعـا كان واقفا على الرصيف منتظرا وصول القطار ، لقد شاهدها من بعيد وهي تلتفت باحثة عنه ، لقد كانت واثقة من قدومه فتقدم منها وقال :

ـ : هل تريـد سـيدتي ان ادلهـا على الطوبـة القويـة ؟

ـ : ماهـر ! اني بحاجـة الى صف من الطوب طويـل •

فمد لها ذراعه فتأبطته وسارا باتجاه سيارة للاجرة

وسرعان ما ابتدأ برنامجهما بجلسةقصيرة في مقهى بولونيا !

كان بامكانـه ان يتهرب منها فيتناسى البرقية ثـم يذهب مع زميله الى حيث الاستفادة ممكنة ••

الا انه لم يستطع •• انه عاجز كما عجز من قبل عن اهمال الرسالة •

لا شك بأنه نوع من الحب •

كان ماهر على استعداد ، منذ مدة وجيزة ، ان يبيع أي نوع من الحب بأي ثمن ، ولو بقبلة ، الا انه في هذه المرة كانا باديا عليه امارات الاستسلام ، وهو يكره ان يكون تابعا مستسلما ••

عاهد نفسه ان يسير ، دون ان ينظر الى الخلف ، ولقد قرر ذلك قبل ان يجلسا الى الطاولة التي حجزها منذ الصباح ، مطعم « قصر الثقافة » •

ولما قاربت الساعـة منتصف الليل كان ماهر في نشوة عارمة فلم يستطع ان يقاوم اغراء الخمر كما قاوم اغراءها فسألها :

ما رأيك لو غيرنا من طباعنا قليلا واتينا بشيء من النبيذ •• أو أي شيء آخر !

ـ : اني أفضل الليمون كما تعلم • يمكنك ان تشرب اذا كنت بحاجة اليه •

ـ : لننس هذا الامر •• انه في غاية السخف

ودقت الساعة معلنة انتصاف الليل فشرع الرواد يغنون « مئة عام »

فرددا معهم :

مئة عام مفعمة بالحب والبهجة •

لي •• ولمحبوبتي العزيزة

ولاصدقائنا الاعزاء !

ان عشتها سوف لن اندم

بل سأقول : أريد ان أعيش عاما آخر

انه لا زال يذكر الدقائق التي عاشها وهو يرافقها بعد تلك السهرة الى الفندق .. كان على وجهها فرحة الطفل وهي تقول :

ــ : ماهر اني فخورة بصداقتك

ــ : شكرا

ــ : علي انا ان اشكرك ، واعتذر اليك أيضا ، فلقد كنت أعاملك كصديق عادي ، لانني كنت اتهيبك في ساعات النزوة التي كنت اتوهمها .. الا ان هذه اللحظة لم تأت بعد ، فلقد برهنت على انك كنت أسمى من تفكيري بكثير ، اني خجلة من نفسي ..

انني اشكر فيك الصديق الذي هرب من البهرجة والتبذل في الحركات والتصرفات وانا استظل في قامتك أثناء الرقص لقد فتحت عيني على النور . لن انساك ما حييت !

كان يريد ان يقول لها بانه كان يشرب حتى يفقد الوعي .. ويركض خلف المرأة حتى تكل قدماه..

كان بوده ان يقول لها ان هذه المبادىء مستعارة ، نعم مستعارة منها ، من التي تشكره على حسن تصرفه . الا انه آثر الصمت ، لانها ليست على استعداد لتصغي اليه ومن ثم حتى لا يعكر صفو ذلك الجو .

ولما عاد الى غرفته كا ن يتمنى للمرة الاولى ، ان يلتقي بها كل يوم ، لا كل سبت فقط .

وقال في نفسه : ان احببت ، فيجب ان أجعل حبي من النوع الصامت ، لا يشعر به حتى المحب نفسه !

ولما أسبل جفنيه كان يحلم ببرقية أخرى ويلح في حلمه كي تأتيه في اليوم التالي الا انها لم تأت فاضطر ان يعيد حلمه من جديد مرات عديدة . الا ان ذلك لم يسعفه .

سحقا للفراغ ! متى كان يعرف الى قلبه سبيلا ؟ يجب ان يعود الى مرحه السابق ! ..

.. انه لا يستطيع الانتظار الى الابد .. سيعود الى شلته ..

واذا سألوه عن سبب غيابه الطويل فانه سيدعي المرض .

انها لفكرة ناجحة ومنقذة من هذه الوحدة في آن واحد ..

.. واسبل جفنيه يحلم بنجاحها ..

.. وفي اليوم التالي ، وصلت اليه برقية ترجوه فيها ان يكون في غرفته في تمام الخامسة والنصف فاستغرب الامر ، انها المرة الاولى ، التي ستدخل فيها غرفته ، بعد ان امتنعت عن مراسلته مدة اسبوع .. انها لم تعوده على ذلك أبدا ..

لو انها بعثت برسالة ، لما عاش طيلة ذلك الاسبوع نهبا للهواجس والاوهام !

.. وقبل الخامسة والنصف بقليل عاد الى البيت ينتظرها بقلق وتعجب ظاهرين ! ..

ومع دقات الساعة دخلت عليه حسب موعدها ، فتطلع اليها بنظرة ملؤها الرغبه والرجاء .. لم تكن في يوم من الايام أجمل مما هي عليه الآن ، وقبل هذه اللحظة لم يكن يؤمن ان باستطاعة القلب ان يضرب على ما حوله من الاضلاع بشكل يخاف فيه صاحبه على نفسه . وفوق هذا فلقد ارتبك كثيرا ، فهي ترتدي فستانا أبيض بلون الثلج ، وتنتعل حذاء بلون الثلج أيضا ..

.. ولم يطل به الامر ، فلقد سيطر على نفسه واندفع اليها مرحبا ..

قالت له باصرار : كيف وجدت ثوبي وحذائي ؟

في الواقع ، لم يخطر بباله ان يتطور الامر الى هذا الحد وكان عليه ان ينصرف فقال : مبروك .. أجمل ما رأيت !

ــ: شكرا ! ولكن لم هذه الكآبة البادية في عينيك ؟ .

فتجاهل سؤالها وقال : لماذا لم تكتبي كل هذه المدة ؟!

ـ : لانني كنت بحاجة للانعزال مع نفسي .. لابحث عن قرار جديد .. ولكنك لم تقل لي ما الذي يحزنك ؟ وعجز عن اللف والدوران فقال : « ايزا » افهميني هناك ما يمنعني من الزواج بك اسباب قاهرة جدا !

فردت بحزم : انه سابق لاوانه !

ـ : اذن ما الذي تقصدينه بهذا اللباس ؟

ـ : قصدت الافصاح عن حبي على طريقتكم .. علني ادخل السرور الى قلبك !

وتلاقت العيون حائرة مضطربة ..

ـ : ايزا ان قضيتنا خاسرة .. وانا لا أريد أن أغرر بك !.

ـ : لقد احببت وأرجو ان انعم بحبي !

ولاصقت صدره المتهدج .. فقال بصوت مبحوح: أخاف أن نكون على خطأ .

ـ : المحب أبعد الناس عن الخطيئة

.. واستفاق « ماهر » من تأملاته فلقد وقف أحد الزوارق وأخذت تغادره جموع المتنزهين .. فعز عليه ان تضيع وحدته وتأملاته وسط هذا الضجيج المتصاعد ، فقفل راجعا الى الفندق !.

.. ربما تكون الرسالة قد وصلت ..

لقد وعدت ولا يمكن ان تخلف بوعدها ، فالمحب أبعد الناس عن الخطيئة ، وبدأ يحث خطاه .. حالما يصل الى الفندق سيسأل عن الرسالة . يخيل اليه انه سيلعن كل العاملين في البريد ، على ذلك الحظ ، اذا لم يحظ بها .

ولما وصل الى الفندق دخل الى البهو الكبير ..

لقد انعدمت الضجة انها لفرحة كبرى .. الظاهر ان بعض المسافرين قد ركبوا .. الحمد لله .!

ـ : سيد ماهر

فالتفت صوب الصوت فوجد عامل الفندق يبتسم له ، وهو يمد يده برسالة وكأنه يقول له :

هاك الرسالة التي سألتني عنها عشرات المرات ..

وانطلق ماهر اليها ، فالتقطها بقلب واجف ثم قفز الى المصعد وعينه تلاحق الكلمات المرصوفةعلىالمغلف..

ولما دخل غرفته أغلق الباب خلفه ثم شرع بفتح الرسالة بأنامل راجفة وقلب واجف ثم أخذ يقرأ .

عزيزي ماهر

عندما اتصلت بي هاتفيا ، كنت طريحة الفراش ، لا كما ادعيت ساعتها ، بـان أعمالا كثـيرة تحول دون مجيئي لتوديعك ! . ولقد وعدتك برسالة أبعث بها الى فندقك بامستردام ، لتحمل اليك معنى الوداع ، الذي قد يدوم الى الابد !! وهأنذا أكتب اليك ، وألم الوحدة يكاد يضنيني ، فأنا الآن في شبه هذيان .. أسأل نفسي هل غاب ماهر من حياتي الى الابد ؟

ان هذا السؤال صرت اردده مئات المرات كل يوم وهو ليس بجديد علي فلا بد لي من الاعتراف لانـه الطريق الوحيد لتخفيف آلام النفس . فلقدخطربذهني وأنت لا تزال بقربي انـه سيأتي يـوم أودعك فيه الى الابد !.. وبعد تفكير قر رأيي أن أحمل اليك مفاجأة جميلة ، لا اظهرها الا بعد ان تغادرني الى مصر .. فتسر لها كثيرا ، وبالتالي تعوض لي عما سأفقده ..

وسررت كثيرا ، عندما حملت منك ، لان ماهري الصغير عند ذهابك سيكون عزائي ..

كنت قد قررت ، وتدبرت أمري من جميعالوجوه وقبل أن أن يهنأ بالي طويلا ، علمت انك ستسافر .. ستتركني الى الابد !

وطبيعي ان اثني على فكري الذي هداني الى هذه الفكرة الا انني سرعان ما تهيبت الموقف وخشيت الناس الذين اسقطهم من حسابي منذ مدة وجيزة .. لقــد صرت أخشاهم .. وأخشى مواجهتهم !..

وبدون وعي ، توجهت الى الطبيب ، وتخلصت من ماهري الصغير ، وعدت الى البيت في صبيحة اليومالتالي، لتخبرني هاتفيا بان موعد سفركقدتقدم شهرا ، وستسافر في الصباح ، فتحتم علي ان أفقدك وانا في أمس الحاجة اليك !

انني في حالة من الحزن الشديد ، والندم يكاد يأكل أحشائي ! وكيف لا وانا قد فقدت الحبيب والولد؟ ولكن لا بأس لعل الكتابة تسليني ، ورجائي اليك ان تكتب ، ان تسهب في الكتابة ، فهو عزائي الوحيد ، وان اغضبتك بفعلتي فأرجوك أن تصفح •• ان تغفر لي •• ان تكتب ، مهونا فداحة الامر فانا اشعر الان بانني مجرمة آثمة ، ولقد بعثت اليك بحذائي الابيض الى عنوانك في القاهرة عله يخفف وطأة الاثم في نفسي !

المخلصة : ايزا

وبعد ان قرأ للمرة الثالثة كتب لها :

عزيزتي ايزا

ان المحب أبعد الناس عن الخطيئة ، انها جملتك ، التي طبعت بذاكرتي الى الابد •• فيجب ان تبقي على ايمانك بها •• وعلى هذا الاساس لن تكوني بمخطئة أو أثمة •• معاذ الله ان تكوني ••

ان كان هنالك اثم ، فانا مصدره •• وان كانت هنالك خطيئة ، فأنا باعثها •• ولو لم تستطع ارادتي أن تنتصر وعقلي أن يفوز • فيما مضى كنت أحاول أن أشرح موقفي الملتبس المتخاذل الا انك كنت تفرين منه وتقولين : انه سابق لاوانه والآن أرجوك أن تصغي لي هذه المرة •

انك على علم بالفترة المديدة التي خضعت خلالها مصر لحكم « الخواجات » فقتلوا •• وسرقوا •• واستباحوا •• ولما أعيد الحق الى نصابه وانتهى حكم هؤلاء تفجر الحقد الحبيس كالبركان في نفوس الشعب ••

فالشفاه التي قبلت يد « الخواجا » و « الخوجايه » بمسكنة أصبحت تبتسم بسخرية بالغة وتقصد ذلك الابتسام والنفوس التي كانت ترتجف من اسمائهم ، أصبحت تحتقرهم في حضورهم •• وتلعنهم ••

وكان لا بد من التفكير في أمرنا •• ففكرت وكنت اطاوع قلبي في أكثر الاحيان ••

. فلقد قلت لنفسي : لو تزوجتها ، وأنا ابن العباسية ، سينظر بدون شك أبناء ذلك الحي الينا شزرا •• وسيطلقون عليك اسم « الخوجايه » ••

وقد يقولون بسخرية انك حلقة فاشلة من حلقات « الخواجات » المنتهية ••

الا انني هونت هذا الامر •• وتخطيت هؤلاء فاعترضني جموع الاصدقاء •• انهم لن يسروا حتما •• وقد ينفض أكثرهم من حولي •• كما فعلت أنا مرة •• لان أحقادهم ستتحرك حتما ، وماضيهم ، بوجودك سيعود الى ساحة الشعور • الا انني تناسيت هذا الامر أيضا •• فخرج الى ذهني اخوتي ، ووالدتي بالذات •• انهم سينفضون من حولي •• لانهم سيشعرون بمركبات النقص في وجودك ••

وكنت بصدد تبديد هذه المخاوف أيضا عندما تذكرت بأنني واحد من هذا الشعب •• ولي مركبات نقص أيضا •

•• فلو صدف مرة وتأففت من أمر ، أو تصرفت تصرفا معينا عن حسن نية ، وتراءى لي عكس ذلك • فان حقدي سيثور حتما كبركان هائل ، ليحطم حبي الابدي !•

لهذا فضلت أن أحبك الى الابد دون أن أفوز بك •• من ان اتزوج منك ثم أعيش نهبا للهواجس •• التي ستهددنا بمصير قاتم محتوم •

واما بشأن « الحذاء الابيض » فانني سأحتفظ به في غرفتي الخاصة ما حييت •• وسأبعث لك بحذاء أبيض آخر حال وصولي ، فأرجو أن تكون خطواتك فيه باعثة على الامل والرجاء •

المخلص : ماهر

اللاذقية — نديم أحمد طابوشة



يا ليل

شعر : غادة سلهب الحسني

ولقـد اتيت مثارة الاشـواق — يا ليل فاحضن لوبة المشتـاق
أنـا يوم مـا احتدم الهوى في أضلعي — أدركت كيف مصـارع العشـاق
وعـرفت كيف الحب ، كيف عذابـه — يستـل دفء فـؤادي الخفـاق
ويهـزه هـز العـواطف ريشـة — والريـح جنح الغيم في الآفـاق

★ ★ ★

مـا كنت قبل تولهي وصبابتي — ادري احتراق الدمع في الاحداق
حتى اذا ما جئت اطفيء حرقتي — الهبت نـار الحب في أعمـاقي
فاذا دمـاي حرائق ، وأنا على — جمر الولوع رمـاد حب بـاق
واثنـان في دربي الصباح بلا شـذا — والليل دون يـد تحل وثـاقي

★ ★ ★

يا ليـل يا عقـد النجـوم انيقـة — يا نهـر احـلام الصبـا البـراق
يـا مسبح اللألآء في سرر الدجى — يـا كاهن الاسـرار والاشـواق
يا صاحبي في الوحشة الخرسـاء يـا — يا صاحبي في الهـم والاطـراق
هذي انا وحـدي الوب شقية — تتراقص الدمعـات في آمـاقي
ائـذا اتيت دجاك انثر مهجتي — وجواي لـم تعطف على املاقي

★ ★ ★

أواه لا سـقيا تبـدد وحشتي — شـح الزمان وعق عق الساقي

جوائز يانصيب المعرض حتماً

من حق الجمهور

رابح نصف الجائزة الكبرى في السحب السابق



السيد عثمان بن محي الدين نسرين
من قضاء دوما بائع كاز متجول

رابح النصف الآخر للجائزة الكبرى في السحب السابق



السيد عبد الكريم سرور شتيحي

تدفع الجوائز كاملة خالية
من الرسوم والضرائب والحسومات

الجائزة الكبرى ٣٠,٠٠٠ ليرة سورية

يجري سحب الاصدار الشعبي الثالث في مدينة دمشق
بتاريخ ١١ شباط ١٩٦١

فدوى طوقان في ديوانها الاول

بقلم : محي الدين صبحي

تبدو فدوى طوقان في ديوانها الاول « وحدي مع الايام » عاشقة للمروج .. للربيع .. للعزلة والخيال . ان المراهقة والعاطفية الشديدة تتجلى في التسامي ومناجاة القمر وتصوير أشعته والخلود الى الصمت ، والحديث عن السكون بين أحضان الطبيعة والتوزع بين حب الطبيعة وحب الرجل بنوع من خداع النفس وخداع اللفظ . فهي تقول للمروج :

قد جئت أسند ، ها هنا ، رأسي الى الصدر الحنون
وأظل أنهل من نقـاء الصمت ، من نبع السكون
فهنا بحضنك أستريح ، أغيب ، أغرق في حنيني

لكن هذه العاطفية المفرطة لا تقودها نحو الفرح واللذة ، ولا تدفعها الى السرور والسـعادة لان الفرد العربي لا يستطيع أن يقذف بروحه وجسده الى الحياة ، بل تضطره التقاليد الى أن يختزن قوته ويدخر امكانياته حتى تصبح حياته نوعا من الاجترار الداخلي والحزن الغاضب والاسى على الشباب وهو ينطوي في كآبة المساء واصفرار الخريف :

الخريف الجهم ، والريح ، وأشجان الغروب
ووداع الطير للنور وللروض الكئيب
كلها تمثل في نفسي رمزا لانتهائي ..

ومـا دامت ـ وهي في ميعـة الصبا ـ تفكر في الموت ، فمن البدهي أن تهب لـه كل عواطفها ، وأن تناجيه كأنه حبيب مقبل وحب منتظر :

آه يا موت ! ترى ما أنت ؟ قاس أم حنون ؟
أبشـوش أنت أم جهـم ؟ وفي أم خـؤون ؟

وما دامت سوف تمنحه نفسها فانها تفكر بجسدها و بالبلى والفناء والدود الراتع في جوف القبر .. ثم تتلو كل ذلك بتأملات شاحبة عن مصير الروح وفنائه أو خلودها .

واذا عرفنا أن هذه القصائد نظمت في سنة ١٩٥٢ وما قبلها ، حق لنا أن نستغرب كيف أن هذه الاحاسيس تراودها وهي في ميعة الصبا . لكن تعليل ذلك ليس ببعيد ، فالشاعرة فدوى طوقان من نتاج مدرسة أبولو المصرية التي كان من أقطابها علي محمود طه وأحمد زكي أبو شادي وأبو القاسم الشابي ، وهي المدرسة الرومانسية المصرية . وقد ازدهرت بين ١٩٣٠ ـ ١٩٤٥ وما بعد .. وهي المدرسة الوارثة للرومانسية المهجرية التي أنشأها المهاجرون اللبنانيون في أمريكا الشماليـة . واذا أردنا المقارنة لحكمنا بأن الرومانسية المصرية أكثر تماسكا من حيث العاطفة ، وأقل عمقا من حيث الفكر .. لقد كان جبران ونعيمة وأبو ماضي ، من المثقفين في الفن والادب والفلسفة ، وكان للكون في نظر كل منهم معنى ولون ، أما علي محمود طه وجماعته فليس عندهم كثير من هذه البضاعة .. وكل ما في الامر أن نقد العقاد والمازني قد مهد لهذه المدرسة وقدم لاصحابها نماذج شعرية احتذوها وزادوا عليها .

وتقوم دعوة العقـاد على التأكيد على فردية الفنان وظهور شخصيته الفنية في انتاجه ، ثم على وحدة القصيدة من حيث الموضوع والبناء ، وأخيرا على الابتعاد عن الاحالة والتقليد ونقل التشبيه من مجال الحواس الخارجية الى داخل النفس البشرية بحيث يكون الهدف من التشبيه هو نقل الاثر النفسي للمشبه من وجدان الشاعر الى وجدان القاريء .

وقد جاء ديوان « وحدي مع الايام » مرددا أصداء كل تلك الافكار والمذاهب . فاذا عدنا للبحث عن أسباب العاطفة الشاحبة وتأمل الموت في شعرها المبكر ، اكتشفنا أسبابا اجتماعية تربوية تدخل في صميم تكوينا النفسي .

ان المجتمع العربي مغلق ـ وخاصة في العقد الرابع من هذا القرن ، فما تكاد فورة المراهقة تندفع في جسد اليافع حتى يحـول العرف دون تفتحه الجسدي والنفسي ، فيضمر الفرد وينطوي على نفسه • ان جسدنا يضطرناالى اعتبار رغباته ، والشاعرة تهرب من التفكير المباشر لكن رغباتها تتحايل عليها ، فاذا بها تغلف احساسها بجسدها ضمن اطار من الموت والفناء • وفدوى طوقان تعرض احساسها بضياع الشباب في قصيدة « الشاعرةوالفراشة»:

مـاذا ؟ تموتـين ؟ فواحسرتـا
على عروس الروض بنت الربيع
أهكـذا في فـوران الصبـا
يطويك اعصار الفناء المريـع ؟

ولكي تتأكـد من أن الشاعرة تأسـف على نفسها وليس على الفراشة ، ما علينا الا أن نقرأ من قصيدتها « أوهام في الزيتون » هذين البيتين :

جـذورها تمتص من هيكلـي
ولـم يزل بعـد طريـا رطيب
تعب مـن قلبـي أنـواره
ومنه تستلهم سـر اللهيب

فهي اذن تحس بقلبها ونضارة شبابها ، لكنها سوف تمنح كل ذلك للتراب ، وان ضنت به فلا أقل من أن تدفن جسدها في جذع زيتونة مخصبة • ان فكرة الدفن ليست أكثر من رمز جنسي قد يحمل معنى الهروب من الجسد أو الاطمئنان الدائـم • أما شجرة الزيتون ، بجمالها وثمرها وزيتها وخضرتهاالدائمةوحياتهاالطويلة، فهي الرجولة المنتظرة • واللقاء الذي يحدث بين الجسد وشجرة الزيتون ، هو الذي يحمل معنى الحياة•فالشجرة تمتص الجسد وتزدهر •• وهذه الحياة الخفية المستسرة في أعماق الثرى والمنشأة من المنح الخفي والاستسلام النشيط ، هـذه الحيـاة هي الحلم الهني بالنسبة للبنت البكر في أول احساسها بأنوثتها •• انها تريد أن تستقر حتى الموت في ظل رجل نضير يمتص منها بقاءه • ان نقطة البـدء عند فدوى هي العطاء • وقـد بدأت تعطي جسدها لشجرة الزيتون ولسـنابل القمح ، كما تعطي أشواقها الحائرة للسماء الزرقاء وللعواصف القلقة ولليل في ظلامه العميق • لكن كل ذلك لا يمنع عنها الوحشة والفراغ والكآبة :

حياتي دموع
وقلب ولوع
وشوق وديوان شعر وعود

ومع ذلـك يتسلل الى نفسهـا حب خجول يبدأ بنظرة حيية وشفاه مطبقة :

••ومضت بي الايام ، لا أنا صرحت ، ولا لهفتي الحيية تبدو
كم وكم راح يحتوينا مكان ، وأنا صبوة توارت••ووجد

لكن هذا الحب الملائكي الطهـور لا يطول بـه المـدى •• اذ سرعان ما يرحل الحبيب مخلفا صورته وذكريات متلهفة •• وها هي وحيدة حزينة تعيش على الهجس والترقب والتطور ! تتذكر طلعته وتركم لرجولته وتلملم اندفاعها اليه :

•• وفي غمرات الذهول العميق
تطالعني القامـة الفارعـه
فأشخص ثم اغض حيـاء ••
وأكسر من لهفتي الجائعـه !

وفي مرة تناجي صورتها فينبثق في نجواها ختل الانثى واعتزازها بأن يبقى حبها سرا • تقول لصورتها :

اذهبي ، واعبري الصحارى اليه
فاذا ما احتواك بين يديه
ولمحت الاشواق في عينيه
مائجات أشعة وظلالا
مفعمات ضراعة وابتهالا
فاحذري ، لا تعبري ، لا تبوحي
لا تبيني تأثرا وانفعالا
واكتمي عنه ما يزلزل روحي

منه ، واطوي هواي عن عينيه •

وهي بذلك تكشف عن الصورة التي تعامله بها ، فهي تريـده أن يظل نهب الظنون ، موزعا بين الشك واليقين ، لا يستريح الى اليأس ولا يركن الى وداعـة الحب • انها تكشف عن وجه المرأة ـ الهرة التي تطمع فريستها بالنجاة ثم تأخذها بين أنيابها من جديد • انها تفضح في هذه الصورة طبيعة المرأة الشرقية • المرأة التي تعتقد أن في الحب ذلا وفي الاعتراف سقوطا ، خوفا من أن يستعبدها الرجل • ان هناك حبا ، كما أن هناك ثقة مفقودة هي السبب الاول في كتمان الحب • والتعذيب الذي يلازم الحب في الشرق ـ وبخاصة عند المرأة ـ يـدل على مازوشية تحـدث ردود فعل عـديدة أهمها الهروب من النفس بالرجوع الى الطبيعة :

السفوح الشجراء ، والجبل الحاني ، وهذا الوادي ، وهذي المخاضر
كلها كلها أحن على قلبي من قلبك الجحود الكافر !

وقد يتحول الحب الى تهويمة صوفية وعشق الهـي :

أنا يارب قطرة منك تاهت
فوق أرض الشقاء والتنكيد
فمتى أهتدي الى منبعي الاسمى
وأفنى في فيضه المنشود ؟

وأخـيرا تجنب ذاتهـا اللوم بأن تضع التبعة على المجتمع :

ذنبي ؟ وما ذنبي ؟ ألا ويلاه من ظلم القيود
ما حيلتي والغل في عنقي على حبل الوريد ؟

ثم تلوب حائرة وهي ترتاد مغـاني حبها وحيدة ملهوفة ، تتلمس آثار الحبيب وتستعيد هنيهات الصحو ، وليس لها سوى أصداء الهناءة ، فتركـع على أطـلال ذكرياتها وتنشج بصوت مخنوق لكنه كثير العذوبة • ان قصيدة « في محراب الاشواق » بحث هيمن عن السعادة المفقودة ، ونرى فيها تكامل الانفعـال والبـدء في نضج التجربة الشعرية وعرض جزئيات الاحاسيس ، يما نرى بعض التوفيق في البناء الهندسي ، فالقصيدة تبـدأ بنغم خافت يعلو ثم يعلو حتى يبلغ ذروة ثم ينحدر ويتباطأ حتى يتلاشى :

هـذا مكانك ، ههنـا محـراب أشـواقي وحبي
كم جئته والدمع ، دمـع الشـوق مختلج بهدبي
كم جئته والذكـريات تفيض من روحي وقلبي
يمـددن حـولي ظلهـن ، وينتفض بـكل درب

انهـا تصدر عن جونا النفسي المحلي ، بصرخة احتجاج مخنوقة لكنها عذبة لينة ، والتوتر ظاهر جـدا بسبب المعاناة الذاتية للشاعرة في هذه التجربة • ولغتها صافية وتراكيبها متماسكة ، وهي اجمالا تستطيع أن تعبر عن نفسهـا • ومن المؤسـف أن لغتها تسف في بقيـة الدواوين حتى تصل الى حد الركاكة والابتذال • كما أنها لا تقتصر على الموضوعات العاطفية الذاتية من حب وهجر وأمنيات ، بل تكرس بعض القصائد في رثاء أخيها وأهلها ووطنها المنكوب • ان فلسطين السلبية تحتجز كثيرا من عواطف الشـاعرة وموضوعاتها ، وان جاءت معالجتها لهـذه الموضوعات معالجة عقلية مبسطة تتسم بالطابع المباشر ، فقصيدة « مع لاجئة في العيد » تعتمد المناجاة بين الشاعرة واللاجئة • اذ تنظر الاولى الى الثانية فتراها حزينة مكتئبة فتبدأ باعطاء افتراضات عن سبب تعاسة اللاجئة : هل تذكـرت يافا والطفولة الجميلة ؟ هل قارنت اللاجئة بـين أسـمالها وأثـواب الاغنياء في العيد ؟ •• الخ وبذلك تقصر عن اعطائنا حياة واضحة من خلال التجربة • ان المعاناة الحياتية لحالة ما ، غـير التصور العقلي لها ، والشاعرة في دواوينها اللاحقة تبدو أكثر اتصالا بجوهر التجربة منها في هذا الديوان •

دمشق — محيي الدين صبحي

الاب جبرائيل

بقلم : عبد الله الشيتي

مهـداة
الى الاخ ياسين رفاعية قليل من كثير

كان ذلك ، في يوم من ايام الشتاء القارسة ، حين كان المطر يهطل بغزارة ، ويتحول الى سواق تنساب في طولها المياه الكدرة الآسنة . والريح قوية عاصفة ، تئن مرة كمريض يتلوى ، وتعوي وتزمجر أخرى كوحش غضوب !

وكانت ثمة سيارة صغيرة مهترئة ، ومحشوة بركابها من القرويين وسلال المؤونة تشق طريقها بتوءدة ، وسط العاصفة القاسية ، قسوة الطبيعة في ذلك الحين . وكنت انا واكاد اختنق بينهم ، اتفكر في أيامي المقبلة التي سأعيشها بعيدا عن بلدتي وأهلي ، في رأس هذا الجبل المكتهل الذي راحت سيارة القرية الصغيرة تتسلقه عبر طريق صخري بصعوبة ..

كانت القرية تقوم بين سلسلة من التلال .. وتقع الى جانب الساحل من جهة الجنوب . وكنت أول معلم انتدبت للتدريس في مدرستها الوحيدة ، حاملا معي قرار تعييني ، ومتأبطا بعض الحقائب الخفيفة وحوائج « الغربة » !

اسمه القس جبرائيل ، راعي كنيسة «البروتستانت» او هكذا قدم لي نفسه ، بعد ان قدمت له نفسي ، حين وفدت عليه في هذه القرية النائية التي شلحها الله في قمة الطبيعة !

والاب جبرائيل هو راعي القرية وسكانها ، يحدب عليهم ، ويعظ فيهم ، ويهيء لهم سبل الحياة الرضية الطيبة !

وبعد ان استقر بي المقام ، وجلست اليه حول المدفأة الصغيرة نصطلي ، قدمت له توصية من صديق يمت اليه بصلة القربى .

رحب بي . وركز نظارته الذهبية البيضاء على عينيه ، ورمى « البطاقة » بنظرة عجلى ، وما عتم ان دسها في جيب سترته الداكنة وهو يقول :

ــ : وهل يحتاج المرء الى من يستوصيه خيرا على الامـانة ؟

وظللت صامتـا . اخجلني تواضعـه . وطمأنني حديثه ، واردف قائلا : انك هنا في بيتك يا بني !

وانتابني ما ينتاب الغريب الوجل ، الـذي يتردد أكثر من مـرة قبل ان ينسجم مع الآخرين ويرتـاح اليهم .. فاحمرت وجنتاي . واطرقت اتمتم بعبـارات متعثرة تنم عن الامتنان والشكران .

ثم خيمت برهة من الصمت علينا . والمطر يتساقط رذاذا ينقر زجاج النافذة المغلقة ، فيزرع في النفس وجوم الشتاء . وكآبة الطبيعة . ويشيع الرهبة في القلوب .

انشأ الاب جبرائيل يحدق في النار المتأججة داخل المدفأة المتآكلة فيتطاير منها شعاع يختلج متراقصا على الوجوه ، كصور نيرانيه مهزوزة ، والفيتني أقطع حبل الصمت بقولي :

ــ : سيدي !

فرفع نحوي نظرات رفيقة هادئـة ، تتسلل الى منافذ القلب وأعماق النفس . وافتر ثغره عن بسمة وقوة وحدق الي ، علامة الاصغاء فقلت :

ــ : اين يمكن لي ان استقر ريثما اتدبر شؤوني؟ أقصد ، هل توجد ثمة غرفة أشغلها .. و ..

قاطعني بحدة وقال :

ــ : ابق هنا في هذه الغرفة . انت في بيتك وبين أهلك .!

ادركنا الهزيع الاول من الليل فنهض الاب جبرائيل وهو يطوي كتابا كان يقرؤه وربت كتفي قائلا :

ـ : انك تتثاءب • قم الى سريرك • فانت مرهق على ما يبدو • طابت ليلتك • وتصبح على خير !

ثم صفق الباب وراءه • وغرق البيت في سكون عميق !

* * *

لم انم تلك الليلة الا لماما • كنت فريسة القلق والتفكير ، تتنازعني هواجس متباينة ، وأحاول وأنا مستلق على السرير ان استشف المجهول ، واستطلع مستقبلي في هذه القرية ••

امتدت يدي الى « سراج الزيت » ارفع فتيلته فانتصبت ذؤابة مشعة رجراجة ، ورحت أجيل الطرف في أرجاء الغرفة ••

هنا طاولة مكتظة بالكتب والاوراق المتناثرة ، وهنالك مقاعد قديمة وكبيرة •• وهذه خزانة سوداء مقفلة ، وتلك لوحات وصور دينية تتصدر الجدران •• وهذا السرير المريح الذي يحملني ، انه وسيع وثير ، لا بد وان يكون سرير الاب جبرائيل ، يبدو أنه طيب جدا • لقد تنازل لي عن غرفته الخاصة • ثم قام في نفسي فضول !

جلست الى الطاولة المستديرة ، كنت أعلم انني انتهك حرمة الامانة التي حدثني عنها الاب جبرائيل • وكنت جريئا اذ سمحت لعيني ان تتفحصا الاشياء بدقة • لكنني تلمست عذرا وجيها لفضولي •• فأنامؤرق‌مسهد، ومن عادتي ان لا يغالبني النعاس الا اذا اتعبت عيني في القراءة • قرأت قصاصات ورسائل وصفحات من بعض الكتب المجلدة ، وكلها تبحث في العلم ، والدين ، والانسانية والحياة الابدية والفلسفة ••

طابت لي القراءة ، ولم تتعب عيناي •• ما هذا ؟•• رسالة من الاب جبرائيل الى أحد الخطاة ، يفتح له فيها منارات جديدة ، ويدله على الحقيقة • ويحاول ان يحيي فيه موات الامل ، فيقول له : انت ما زلت قويا • ما زال قلبك ينبض • اكسر شوكة اليأس • وحسبك انك قد ندمت ، وفي ندمك تكفير عن خطيئتك • انت حي • وفي الحياة وجهان • خير وشر • فاذا كان « الشر » حليفك في الجولة الاولى ، فانا واثق من انك ستكون الخير كله في الجولة الثانية •

كنت مثلك ذات يوم يا بني • اخطأت • وارتكبت المعصية • وتكررت خطيئاتي ، وتجسمت المعصية • يئست وتضاءلت أمام الحقيقة •• ولكنني تداركت نفسي • لم أشأ ان استصغرها ان احتقرها او اؤنبها • انا لم ارتكب امرا ادا لا يغفر • انا انسان ولي عذري • وأخيرا أدركت الجولة الثانية او هي التي ادركتني • وها أنذا كما ترى أسير في درب المحبة • درب‌الخلاص• وتأكد انني في انتظارك على الدرب • وسنصل معا بأمان !

اعجبني هذا الرجل القس • ان طريقته في فلسفة الحياة ، وفي تحرير الانسان من ربقة رواسب الخوف والندامة جديدة على ان « الخطيئة » عنده ، هي النافذة المفتوحة على الحياة الصحيحة ••

وهو يمارس صلاة غير التي يؤديها في « الكنيسة » •• انها « لطاغور » يقول معه في محراب ذاته :

« يارب » علمني ان احب الناس كما احب نفسي• وأن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس •

« يارب » لا تدعني أصاب بالغرور اذا نجحت ولا أن أصاب باليأس اذا فشلت •

وتمتمت من عندي : الهي كن نصري •• ثم تسللت الى الفراش وقد هدأت نفسي • واثقل التعب عيني ••

* * *

في الصباح ، لم يكن الاب جبرائيل وحده حول المائدة ، كان هنالك أربعة اشخاص عيونهم شاخصة الي•

اسرع الاب جبرائيل الى تقديمي اليهم ، واغضيت من طرفي وهو يقول : اما هذه فابنتي « ماري » وهذا ابني اديب فابني سميح وتلك جدتهم •

قلت باستيحاء : وأمهم يا أبي ؟

فزفر •• واختلجت شفتاه وهو يتفرس في ابنائه الصغار واختهم الكبيرة :

ـ : ماتت من زمان في مثل هذا الشتاء !..

* * *

ولداه كانا من بين تلامذتي في المدرسة . كان العمل مريحا . استرعى انتباهي ذكاء الصغار ونظافتهم ، وخلودهم الى السكينة ..

وكان كل ما في القرية هادئا هدوء بسمة الاب جبرائيل الوقورة ..

وهدوء عيني « ماري » ابنته .

كانت وظيفة ماري ان تكنس البيت ، وتجالس جدتها ، وتعد الطعام ، وتحاول ان تكون ربة بيت ناجحة!

وكان شعرها مسترسلا على كتفيها بضفيرتيه وشقرته مائلة الى الحمرة ، ولم تكن جميلة تماما كان جمالها منصبا في جاذبيتها المشعة من غور عينها ..

وكانت تؤثر الصمت . وتهوى المطالعة . وكنت مثلها اجاريها في صمتها وهوايتها .. كنت ادرك ان من « الامانة » ان ابقى عند ثقة والدها بي . ولهذا كنت اكتفي برد تحيتها عند الصباح او بمبادرتها بالتحية لدى عودتي من المدرسة عصارى كل يوم .. وكانت تجربتي الاولى ان افتح قلبي للحب .. للحياة . لخضرة الربيع تنسكب في عيني ماري ، فيشدني اليهما توق . وأحاول اهمالهما فلا افلح .. وفي يوم رائق ، اشار علي الاب جبرائيل ان اتعرف على أطراف المنطقة ، وأشاهد جمالها عن كثب . واقترح ان اصطحب معي ولديه واختهما ماري !

حاولت ان استبقي ماري ، ولكن الاب جبرائيل قاطعني بحدة :

ـ : لا لزوم لتخوفك . ان ماري هادئة كما ترى . وانت لا تقل عنها هدوءا . فلم الوجل ؟

واغرق في الضحك يطمئنني !

يا لهذا الرجل كم بدأت اتعلق به !

وحين عدنا في المساء الى البيت . نقتلع أقدامنا من الارض اقتلاعا ، ونراقب الشمس الذابلة وهي تقبل جبين الافق الارجواني ، كنت أرخي يدي في يد ماري، وكانت عينا الجدة تراقبانا من وراء النافذة ، فاسقط في يدي ، وتطلعت الى ماري فألفيتها تبتسم ثم تهز كتفيها بلا اكتراث وهي تقول : لقد طمأنك والدي بما فيه الكفاية .

وفي « السهرة » وكنا نجلس جميعا في غرفتي . افضيت الى الاب جبرائيل بقصة حياتي . عرف انني يتيم ، لا أملك شروى نقير . وعرف ان في كنفي خمسة أفواه تنتظر الامتلاء . وخمسة بطون تنتظر الشبع ، هم أمي واخوتي الصغار .

وعرف انني لم انهزم بعد من وجه الحياة . فأطراني وقال : الشباب الذين احترم هم اولئك الذين لا ييأسون ويصنعون أقدارهم بأيديهم ! .

ولما ان انفضت السهرة ادركت أني دخلت قلوب أفراد الاسرة جميعا ، ولم يهمني منها سوى قلب الصغيرة ماري !

كانت في ربيعها السابع عشر ، تبدو حيية خجلى دائما . اروع ما فيها عذوبة حديثها ورقة شفتيها المحمرتين، كانت كالوردة اليانعة تفوح بالشذى فتملأ البيت رواء وبهجة ..

وكان حرصي على « الامانة » التي لا يفتأ يتحدث عنها الاب جبرائيل يدفعني الى التزام الصمت المطبق ..

خنقت قلبي . كنت أهرب من خفقه المتواصل الى مقهى القرية الصغير . وصرت انطوي على نفسي . واتظاهر بالتعب او بالانهماك في « وظائف » التلاميذ .

وماري وحدها كانت تدرك في أعماقها انني اكذب . واموه ، وأعاني من حبها ، من شوقي لعينيها ، لهدوئها ، ما أعاني !

ثرثر الشوق في أضلعي . واستعرت نيران الشباب مع قدوم نيسان ، شهر الحياة والحب .. وصرت اقرأ في عينيها رغبات كثيرة ..

ودخلت علي في صبيحة أحد الايام تحمل صينية عليها وجبة طعام . كنت اذرع الغرفة بخطواتي جيئة وذهابا . وكنت عازما على الرحيل .. وثمة سؤال

ملحاح يراودني : لماذا تكابر المحسوس ؟ ويأتي الجواب من قلبي : ابق .. لا تهرب لن اقوى على العذاب ، لا تبتعد عن ماري !

وينبري عقلي صائحا : ارحل .. ارحل .. والتقت أعيننا . وران علينا صمت . وتناولت من بين يديها صينية الطعام .. ثم أخذت وجهها بين يدي وبللته بدموع الحب والحرقة والخوف !

في صبيحة يوم « الاحد » تقاطر الاهلون بالبستهم النظيفة على الكنيسة الى جوار البيت ، وبدأت الاجراس تسكب في اذني أحلام اليقظة . وهرعت الى ارتداء ملابسي .. كنت مصمما على ترك القرية . انني احب واحترم الاب جبرائيل ، ولا أريدان افقدحبه واحترامه . صممت ان ادوس على قلبي . ان اسحقه . ان اكون جديرا بالامانة !

وفاجأني الاب جبرائيل وانا اهيىء حقائبي فتجهم وجهه وقال بصوت حزين :

ـ : ما بك يا بني .؟ هل انت راحل ؟ هل مللتنا ولم يمض على وجودك شهران ؟ لم أجبه ، كدت ابكي بين يديه .. ان نبله الزائد ينبه ضميري ، وطيبته تعذبني .. ماذا أقول له ؟

ـ : هل اصارحه بحبي لابنته ؟ هل الومه على ثقته بي ؟ هل ابدي له عذرا آخر .. وفجأة التمعت فكرة في خاطري .. قلت له :

ـ : اظنك لا تعلم بأنني مسلم ؟ الا ترى انني ازعجكم ، فانا لا اصلي معكم ولا أذهب الى كنيستكم ؟

خير لك يا ابي ان يأتي معلم يدين بما تدينون به ولا يكون عالة عليكم ..

وصرخ محتدا كمن أصابه مس : صه .. ما هذا الكلام الذي تقوله ؟ .. او تخالني لم أدرك مذهبك من اسمك على البطاقة ؟ .. وماذا في ذلك يا بني ؟ ان الخلق كلهم عيال الله ازاد حبي للرجل . لقد بدا لي عظيما فذا .. وتركني في دوامة حائرة ليلحق بالمصلين ، وصدى كلماته الرزينة يرن في اذني :

ـ : الدين لله يا بني . ان دينكم دين عدل ومحبة ورحمة .. لقد عشت حتى رأيت اليوم الذي يتعانق فيه الهلال بالصليب ..

* * *

لم يطل مكوثي في تلك القرية . عدت بعد سنة ومعي حفنة من الذكريات والدموع ..

* * *

صمت صديقي احمد ، وسحب نفسا طويلا من سيجارته وقلت اسأله :

ـ : وماذا حل بماري .. حبك الاول والاخير ؟

قال مغمض العينين : تزوجت من قريب لها ، لم اجرؤ على البوح بحبي ، فدست قلبي حفاظا مني على الامانة التي كنت احرص على ان تظل لها نقاوتها .. وسلامتها ..!

قلت : وماذا عن الاب جبرائيل قال وهو يشرق بالدمع : لقد مات .. مات في نزلة بردائية حادة المت به اذ كان يعود احد المرضى من أبناء القرية في مثل هذا الشتاء .!

عبد الله الشيتي

رسالة من عمان

شعر : حسن الخطيب

كنت طفلا في بلاد الاقحوان
عربي الوجه ، نجدي اللسان
والرمال السمر في كل مكان
نرقب الجزر لكي نجني الاماني
بين أمواج ، وجهد ، ومواني

★ ★ ★

ثم أصبحنا على شط الامان
اشرقت شمس وغابت نجمتان
شمس دنيانا التي كانت تعاني
ظلمة الليل ودقات الثواني

★ ★ ★

يا أخي : عند الخليج لو تراني
في المدى الاخضر من ارض عمان
ثائر الجبهة ، لماع السنان
والروابي الخضر ثكلى ، قد شجاني
انها ضاعت ، شراها تاجران
خائن يزهو بأموال الهوان
وعميل صار (سلطان الزمان)

★ ★ ★

لبلادي كل ما ضم جناني
حبي الطاغي ، وعزمي ، وبياني
فاذا مت فان القتل شاني
علمتنيه احاديث الزمان
وأقاصيص حكتها لي غوان
كن غيدا ، كرفيف البيلسان
للفتى الاسمر من ارض الطعان
في ليال لم تكن فيها اغان
غير اصوات السلاح في كياني

★ ★ ★

يا اخي هذي تحيات امتنان
هذه قصة جيل في عمان

كويت : حسن الخطيب

جزائري

شعر : كريم احمد

جزائري ،
ويح العدى ،
لن يهزموك ،
جزائري .
لن يهزموك ،
فانت حصن ،
للشباب الثائر .
لن يهزموك ،
فنحن ،
ابناء النضال الغابر .
سنقيم ،
من ارواحنا ،
صرحا ،
لمجد زاهر .
سنطهر الارض الكريمة ،
من عدو ،
جائر .
اختي هناك ،
على الجبال ،
ترد ،
كيد الغادر .
وأخي ،
يقارع ،
لا يلين ،
لفاجر .
هم آمنوا ،
بالنصر ،
تحدوهم ،
عزيمة ناصر .
شعب ،
تسربل ،
بالحديد ،
وسار ،
سير الظافر .
أوراس ،
يا مهد البطولة ،
يا رفيق الحاضر .
يا شعلة الحق المنير ،
لكل حر ،
ساهر .
تلك الدماء الحمر ،
يا اوراس ،
رمز مفاخر .

كويت – كريم احمد

القيظ لا يرحم !!

قصة بقلم : هاني الراهب

الفائز بالجائزة الاولى لمسابقة الرواية في دار الآداب

انتهى ، ذلك هوالقرارالاخير ، اذا أردتالحصول عليها ، فلا بد من هذه الخطوة الحاسمة . انها تقبع في غرفتها الآن كهرة تنتظر أن تنشب مخالبها في كتلة لحم، تريد أن تلغي أحاسيسها في دخان رائحة نتنة عمياء تنبعث من منطقة حارة جافة الشفاه . نفس الرغبة التي تمتلكني ، وتؤرث مسام جسدي . ان شيئا كالخدر يتملص من واقع الطبيعة البشرية ليهيمن على احساسي بالاشياء ، واستجابتي لها ، وبالتالي يلهب في جمجمتي عطالة عقلية متمزقة ، ويملأه ببخور غابي موغل يرعى مداركي . ان الباب مغلق ، ولكنها تنتظر وراءه . منذ لحظات خرج تأختها الصغيرة ، وبقيت وحيدة . واذا كنت أريد حقا الحصول عليها ، فلا بد من هذه الخطوة الحاسمة . يجب أن أسير بخطى وئيدة ، لا ، بأس اذا كانت سريعة ، ولكن يجب ألا تستشف اضطرابي . اني مضطرب فعلا ، وجهي متقلص تقلصا فظا ، حتى شفتاي لا يمكن اطباقهما . ان أسناني جافة أيضا.ولكن يدي ، يدي المتقبضة على ظهر الكرسي ، مرطبة بالعرق. ان الكرسي نفسه يهتز ، ومع ذلك فأنا جالس على الكنبة ببرود فظيع .

مظهري الخارجي جامد ، ذلك لان ذروة من التوتر قد تجمدت في اندفاعة صدرية وحشية سيطرت على وجهي . أما قلبي فكل نبضة منه فقاعة تطن ، لكنها لا تنفجر أشبه ببالون بلاستيك . ولقد امتلأ صدري بالنبضات وتمطت أضلاعي بجلدها بطريقةتبهرالانفاس.

انها تنتظر ، فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ، ولا تملك الا أن تنتظر ، سوف أمد لها يدي برباط الساعة.

ـ أهذا الرباط لك ؟ .

وسوف تجيب أن نعم . وستمد يدها لتناوله . واذ ذاك أتناولها ، قد تقاوم ، ستقاوم حتما ، والا فلن يكون استسلامها ثمينا . سوف تتأخر فأتبعها ، وتتراجع ببطء عاطل الحس ، بعينين كامدتين وشفاه مقلوبة ، وتتنفس أشبه بالنائمين . وسأتبعها بعيني اللتين انطفأ فيهما بريق النهار وتوغلت في بؤبؤيهما كثافة صماء لا تتحرك .

اذن لا بد من التحرك . ولكن ليس قبلأنتنحسر عن عيني هذه الغمامة ، انني لا أستطيع أن أرى . ماذا حدث ، ان قلبي يتضخم !! اذا كنت سأتوجه اليها بهذه الحالة الصبيانية فليس ثمة فائدة من التوجه اطلاقا . ان قلبي ما زال يتضخم ، وتنفسي يتصاعد ويتهابط باهتزاز رصاصي . حتى رباط الساعة الاسود أخذ يبرق بعيني ويتلوى بصمت فج مثير .

ان البوابة العملاقة الصلدة المغلقة أبدا تقترب ، ومقبضها الحديدي الابيض الذي التوى الى الاسفل يتمدد ويتمدد . الابعاد تتقلص وتتقعر ، وتركيز ذهني شديد يكاد يقطر دما يدور بعنف بالغ في جبهتي . ان شيئا ما ينبثق من صدغي فيطمر ما حولهما من العالم في دوار هائل ، وتوتر جامد الاطار لاهب المحتوى يزحف في أعصاب يدي والغا شديد الولوغ . لقد تجمدت يدي وتباعدت أصابعي . البوابة العملاقة ستفتح بعد قليل ليطل منها وجه تهدلت عليه تكشيرة متقبضة . وجه جميل صاحبته تنتظر ، ولعلها لا تعلم أني أمام هذين الشقين الخشبيين العملاقين ، لكنها تتوقع . انها تفهم أني سآتي ، تعرف لماذا وكيف . سوف يشلها هذا المظهر الوحشي الجامد الجاثم على وجهي ، وستنبح في أعضائها انطباعته البرية المدقعة الشعور . سوف تنغل

الادراكات في عينيها ، وتتجمد في لحظة شعورية مطلقة.

ان لهاثي يتذبذب في نفثاته البطيئة أشبه بما يتركه حجر على سطح الماء من دوائر ، ويتميع كهواء المقهى الذي يضمني في أوقات الفراغ • انه يملأ مسارب أذني، ويطفح على المسافات •

طن •• طن •• طن •• صوت جهم كصوت النبض في سماعتي • لا بد أنها فزعت • لماذا ضربت الباب بهذه القوة خاصة وأن اصبعي تيبست انها لن تفتح • لا بأس ان يدي لا تزال ممدودة • المقبض البارد سوف يتحرك • الأفعى تتحرك • شد الباب للوراء • يمين البوابة انفتح وأطل منه وجه مؤنث صاحبته تنتظر • وجه فيه عينان متخثرتان وملامح قاحلة قدرية ، ذات رائحة بخورية عمياء تنفذ الى الخياشيم نفاذا متكلسا وحشيا •

ــ هذا الرباط لك ؟ •

وارتفعت يد بضة مصلوبة في بؤبؤي ، فأمسكت طرف الاستطالة السوداء • شيء ما يتفحم ، يخمد ، يطفأ اتقاده عنوة ، ينطمر في كثافة ضاربة خانقة ، وينهزم كالغيوم أمام العاصفة • وتشد أصابعي على الحبل الاسود الطويل ، فتتراجع أصابعها بغتة • ثمة حاسة سادسة تهرش مفاصلي وتتغلغل في مقاطعي •

وامتدت يدي الثانية فأغلقت الباب بروية وأصبحت في الداخل •

ــ ماذا تريد ؟ •

ــ لا شيء •

انها تفهم ماذا أريد ، وتنتظره منذ أيام • ماذا أريد ؟ في الحقيقة اني لم أتوقع هذا السؤال • انها تتراجع ، تتراجع بذعر غريزي • لكن عينيها تتحركان، وفيهما تحد داخلي رصين • مدي مخالبك المعقوفة أيتها الهرة اللذيذة ، فاني أريد أن تجرحني • اتركي شفتيك تتباعدان جفافا وتحفزا • ان أصابع بربرية في أضلاعي تستعد للقربان ، وتفتحات الغيبوبة التي تضيع في عيني تنطلق من صدري كسهام تصيب مقتلا دون أن تعي •

تباعدي ، ان وراءك الجدار • صخرة صماء لن تنسجم الا مع استسلامك الاصم • ان خصلة الشعر التي تمردت على جبينك حفنة من تاريخ سحيق تفوقت على عقائدها الدينية ، فظنت أنها بمنجاة من واقع الطبيعة العضوية • لكن الوجود الذي لا يعي غير نفسه ، الذي اذا تكلم أخرس غيره ، لم يرضخ لفتات يلوح بأنها طعام ، وما من طعام • ثار ضد الحد والايقاف والنهاية دعيها تتهدل ، انها سوف تستقر فوق عينيك فتمنعك من الرؤية •

انك لا تحسين بالجدار الذي التصقت عليه ، ولا تحسين الالم في هذا الكتف المدور المليء يدفعه للوراء عبثا •

هل أيقنت يا قطتي الصغيرة الشهية أنك تتعذبين بلا طائل ، تصطرع الارادة في صدرك بالفطرة ، وغطاء الدخان تكشفه الريح • انك تحتمين بصمم لا يعيك ، ان مخالبك المعقوفة لم تخلق عبثا ، ثمة صدر يريد أن يخدش ليستنشيط فيه هذا الذي تعلمت كيف تخافينه ، وتدينينه دون أن تفكري يوما أنه أنت ، ثورة القار والقطران الاسود • لا تهربي من نفسك ان الجدار وراءك • انتهى •• أنت لحم ودم وقامة بديعة متحفزة ، تلك هي طبيعتك • لقد خلقت بهذا الشكل لا لكي تقتله الحشمة والفضيلة • ان جبينك البكر مندى بالعرق ؛ لا تعجبي نحن نعيش في منطقة حارة والقيظ لا يرحم • وهذا الفرو الكثيف مجرد رحل يصلح لجمل في صحراء ، لا لقبرة مثلك تسكن واحة مغلقة •

ان الحشائش في قلبي تحترق ببطء أسود ، وأحس بثقل أضلاعي احساسا هائلا ، أما عروقي فتنزف تصلبا •

ها هنا وجه يتموج ترقبا ، وقد ازدحمت فيه اغراقات حسية بحتة لها وزن نوعي ثقيل ، وتفاعلات يظهر في جبهتي منها ضباب أشبه بالنشادر • عندما تنعدم الرؤى أمام العين الا واحدة ، يتصاعد حول البؤبؤ بخار وتتركز الحاسة في بؤرة واحدة • الندى الذي يرطب

يدي يجعل ملمس يدهـا عطنا • انه يرعشني ، كنت أحسبه دافئا • لقد نظرت الي في مرات سابقة نظرات منحرفة ، ولقد جئت بسبب من دعوة عينيكالبنفسجيتين• نحن لم نتحدث من قبل ولكن غاباتنا الصخرية المفعمة بروائح الطبيعة تكلمت •

لماذا تـكمشت أضلاعك الحريريـة الرخصة ألا تخشين عليهما من الالتواء ؟• حتى هذه اليد التيتحركها باستمرار حركات قصيرة سريعة مبتورة لا أستطيع أن ألتقطها • حسنا لتتقلص عضلات وجهي في شبه ابتسامة•

انها غيبوبة جميلة يشعر بها السباح وبعض رأسه يطفو فيما تبحث عينـاه داخل الماء عن رؤيا جـديدة • بعض رأسي ما زال عالقا في الجو ، وما زالت أعضائي تتلاعب وتحـاول النزوع الى القيعان الرملية الناعمـة المنصهرة • ان القيعان تمد أمامي غلالة رقيقة معتذرة ، أعجبتني لانها تتكلم عن نفسها ، مع ان كلماتها لا توافق هواي •

ـ تفضل جارنا •

سأتفضل بالطبع ، فأمامي شكل متقعر لـه نتوءان جانبيان وسنام استند عليه • لقد تلاشى الضباب في عيني وتكثف البخار ماء سقط على الارض •

ـ أنت تعرفين أن هذه طبيعتنا •

ـ أي طبعا •

تناهضت في أنحائي ارادات بهيمية مفاجئة وأنا أرى انحرافا في زاويتي عينيها • انها ما زالت تكتم بلا مبرر على غياض وجودها الداخلي •

لا بأس ما دامت لا تريد أن تصل للرمال الناعمة المنصهرة • فلأجلس •

ـ ماذا تريد ؟•

ـ لا شـيء •• حبة اسبرو ، أعتقد أن برأسي صداعـــا •

هاني الراهب

من « اسرة الادباء الجامعيين »

الشيخ عارف الزين

فقيد الأدب والوطنية والجهاد

بقلم : عبد اللطيف اليونس

كان ذلك سنة ١٩٣٨ حينما قررت لجنة من كرام القوم ، اقامة يوبيل ذهبي للعلامة الجليل الشيخ سليمان الاحمد .

وكانت أول مرة أزور فيها صيداء . وقد ذهبت اليها للاشراف على طباعة كتاب عن حياة الشيخ سليمان ، في مطبعة « العرفان » . وانتزعني الشيخ عارف الزين يومئذ من الفندق ، وابى الا أن يضيفني في منزله ، طيلة تلك المدة ــ التي أربت على العشرين يوما .

وكانت مناسبة طيبة . قدر لي خلالها أن اعرفه عن كثب معرفة تامة . زادتني وثوقا بصلاحه وطهره ، وفضله ونبله . بصدقه وايمانه ، واستقامته واخلاصه . بسمو نفسه ، وكرم روحه . بسخاء يده ، وتسامح قلبه .

ولن تعرف المرء .. الا اذا عرفته في حالتي : الرضى والغضب ، الامل واليأس ، اقبال الحياة وادبارها، اشراقها وعبوسها .

واذا لم تعش مع المرء وتواكبه ، وتسع معه وتعامله ، فلن تعرف شيئا عن واقعه وجوهره .. بل تظل على هامش حقيقته ، وشاطىء روحه . ولن تستطيع التغلغل الى أعماق طباعه وخلائقه .. الا اذا مسست بتيار حاجتك ، وطول معاشرتك ، دخيلة نفسه ، والعصي من سره وخبره .. ورحت معه وجئت ، وأكلت وسمرت ، وبحثت وحاجحت . وحينئذ تعرف من هو .. واين مكانك منه ، ومكانه منك .

ولقد أخذت ــ وأنا حينئذ في مطلع ربيع الحياة ــ بنفسه الخيرة ، وروحه النيرة . بضميره النقي ، وخلقه الابي . بتلك الصراحة البريئة ــ لا تجامل صديقا ولا تراعي قريبا .

وكنت أنام على صدى صوته الهادىء ــ وهو يتلو الاوراد بخشوع عجيب . وأفيق على صدى صوته الهادر ــ وهو يرتل القرآن بنغم مهيب .

لقد كان يتجه بكليته الى الله ــ حينما كان يتجه الى الصلاة . ينم على ذلك : عينان مسبلتان وتقى واضح، وخشوع ما يزال أثره في نفسي ــ الى الآن .

وبعد أن يفرغ من واجباته الروحية ــ والشمس ما تزال في خدرها ــ يهرع الى حديقة منزله ، يشذب شجيراتها ويفقد أورادها . ويخلد بعد ذلك الى عمله التوجيهي والادبي منصرفا اليه بكل ما في نفسه من قوة وعزم ، وصبر واحتمال .

نفس صافية ، وقلب كبير . رجولة كاملة ، وتهذيب رفيع . كبرياء متواضعة ، وتواضع مترفع . وطنية صادقة ، وجهاد صامت . انسانية سمحة كريمة ــ لا تعرف الحقد ، ولا يعرفها الحقد . أبعد شيء عنه الممالأة ، وأقرب شيء اليه الصراحة . أحب شيء اليه : لقيا صديق ، واغاثة ملهوف ، اطعام جائع ، ومساعدة مسكين . فكأنه أحد الذين عناهم الشاعر القروي :

الباسطين الى الفقير أكفهم
والذائدين عن الضعيف العاني

القيت هذه الكلمة في الحفلة التأبينية الكبرى التي أقيمت للعلامة المجاهد المرحوم الشيخ عارف الزين في قصر الاونيسكو ببيروت .

والمصلحين الساكبين عقولهم
وقلوبهم في خدمة الانسان

تلك كانت بعض خلائقه ومزاياه ، ومبادئه وسجاياه •

لقد كان انسانا دوما أكثر من يدعي « الانسانية » وهي منه براء • وكلمة « انسان » هي خير ما يطري به امرؤ ، ويثني عليه • وما أروع قول عمر ابي ريشة :

لست تستطيع أن تكون آلها
فاذا استطعت فلتكن « انسانا »

ومن مزايا الانسانية انها لا تخفى على أحد — فهي تطل من عيني « الانسان » ومن قلبه ، وقلمه ، ويده • ولعل اللسان هو آخر ما تطل فيه • وربما كان أبو الطيب يشير الى ذلك بقوله :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعف النطق — ان لم تسعف الحال

ولقد اجتمعت به بعد ذلك كثيرا •• وكنت كلما لقيته مرة شعرت ان محبتي له قد نمت ، واكباري قد تضاعف ، وتقديري قد زاد • كنت أجد في نفسه دنيا من الفضائل والمكرمات ، والخير والمروءة •

وكثيرا ما عاتبته على صراحته — يلقيها غير هياب ، ويطلقها غير وجل • لا يهمه أين تقع ، ولا كيف تقع • فهي انما صدرت عن قلبه ، ونبعت من ضميره وليس وراءها الا حسن نية ، وكريم قصد ، ومحاولة اصلاح •

لقد كان يقول لي دائما : ان الصدق — هو الصدق ولا تفسير آخر له • وان المجتمع الذي لا يقوم على أساس من الصراحة والتجانس ، هو مجتمع فاسد منحل •

لقد كان يؤمن بالمجتمع الفاضل ايمانا عميقا • ويرى أن المجتمع لا يكون فاضلا كاملا متماسكا متساندا •• الا اذا سادته الرحمة والانسانية ، والصراحة والود

وكم كنت أجد لذة في التحدث اليه • وكان يجد — أحيانا — بعض الصعوبة بايجاد توافق وانسجام بين تفكيره الواسع المصقول ، وتعبيره المرهق المثقل • فقد كانت « الكلمة » — على قدرتها — أعجز من أن تحيط بالمعنى الدقيق العميق ، وفكرته القوية الغنية • وكان سيل الخواطر يطغي على لسانه فيتأد تحتها — لا عن عي ، ولا عن عياء •• وانما العبقرية : دماغ مفكر ، أو لسان معبر •

كان واسع الاطلاع ، قوي الذاكرة • يضرب المثل بقوة حافظته ، ورهافة ذاكرته • لا يكتب كلمة الا ويملؤها بالشواهد الكثيرة : قرآنا ، وحديثا ، وشعرا ، وآراء لعباقرة موهوبين •

ولم يكن كاتبا يلهي القاريء بالتنميق والتزويق ، والتوشية ، وزخرف الكلام ، بل كان كاتبا رصينا • تضيء أفكاره « الحرف » فيسطع بها ، وتحشد المعاني في كلماته — فتزهو بها •

كان قلمه قلم عالم يتخذ الاسلوب وسيلة للتعبير عن آرائه وأفكاره فيجيء اسلوبه خلوا من الاصباغ والالوان • لا يأبه في كتابته الا بالصراحة والصدق ، والواقعية والجدية ، والامانة الحقة للادب والتاريخ •

كان صديق القاريء — لا يمل رفقته ، ولا يكره مصاحبته •• ولو سار به في طريق شائكة مضطربة • فرفيقه سعيد — جد سعيد • لان زاده متوفر ، وطريقه أمين ، وخاتمته مضمونة •

والكاتب الموهوب يقتنص القاريء من وقته المكتظ ويفرض عليه نفسه ، وتفكيره ، وآراءه ، ونظرياته ، صائبة كانت أم خاطئة ، واقعية أم خيالية •

آمنت بالعبقرية : عبقرية الادب والعلم • عبقرية الكلمة والمعنى • عبقرية الخيال السابح الوضيء والفكرة القوية الغنية — تجعل « الحرف » الاسود ومضة من نور ، يشرق منه الفكر ، ويشع المعنى • ويرسم للحياة خطا طويلا عريضا •

آمنت بالعبقرية : تورق الصخر وتنطق الزهر • تخلق من اللاشيء شيئا ، ومن العدم وجودا ••

آمنت بعبقرية القلم وما فيه من رقة وترف وحساسية ، وعناد ونزق وجموح • يقتنص الفكرة من مكمنها — يرسمها على قرطاس وينعشها في أذهان الناس•

وأي فكرة عصية لا تخضع لسلطان « القلم » ولا

يجرفها هذا « السيل » الذي يندفع منه ــ ثم يجمدها في « حروف » ساكنة ، تصبح اسيرتها •• الى الابد ؟

آمنت بالقلم ــ الذي يجعل الاديب صاحب رسالة• ورسالته هي الحق والخير والجمال • يقتبس منهـا ، ويدافع عنها • ويعمل على السمو بها ، ورفع مستواها •

وليس صاحب كل اسلوب أديبا • ولا كل ذي ديباجة أنيقة مشرقة صاحب رسالة • فالرسالة وقف على صاحبها ــ لا تتعداه ولا تتخطاه • وأما الادعياء الدخلاء فسرعان ما ينكشفون ويفشلون ••

آمنت بالقلم ــ ومن علم بالقلم •• علم الانسان ما لم يعلم » •

وآمنت برسالة الاديب وانسانيته •

آمنت به •• صاحب فكرة نقية خـيرة ، وريشة ناعمة حنون ، يلونها خيـال أنيق ، ويزخرفها شـعور رقيق ، وتضفي عليها العاطفة غلالة مترفة ، وبردا خاليا ، ومسحة ناعمة فاغمة حالمة •

ولقد كانت مجلة « العرفان » غنية بالفكر المبتكر ، والبيان السائـغ العـذب ، والمواضيع الشائقة المثـيرة ، والابحاث الناضجة المختلفة •

لقد كانت مجلة العالم والاديب •

كانت مدرسة طيلة نصف قرن حافل بالاحداث•• وكم خرجت خلال هذه المدة الطويلة من أدباء ، ونمت فيها عبقرية علماء ــ رغم العقبات التي اعترضت سبيلها ، والاشواك التي زرعت في دربها ؟ وقد أذكت نار الوطنية في نفوس المقيمين والمغتربين ، وكانت حلقة اتصال بين النازحين والوطن الام •

لقـد كانت نافـذة يطل منها كل عربي على أدب قومه وتاريخهم وأمجادهم • وكانت منبرا حرا ورسالة قومية ــ تضطلع بأعبـاء التثقيف والتوجيه ، والاصلاح والارشاد • ومن يتصفح أعدادها يقرأ تاريخ بلاده وامته فيهـا •

لقد كانت حديقة غناء ــ تحوي مختلف أنواع الثمار والاوراد •

وكان صاحب « العرفان » خير من يرعى هـذه الحديقة بعنايته ، ويصونها برعايته ، ويتعهد الزهرات الناشئة فيسقيها من قلبـه ، وروحـه ، وجبينه ــ حتى يسطع طيبها ، ويفوح عبيرها ، ويعبق أريجها ، ويفوح شذاها • وما أكثر من تتلمذ على « العرفان » وأفاد منها وانتفع بها •

كان صاحب العرفان فتى الهمة في شيخوخته ــ مثله في صباه •

كان ذا حركـة دائبة ونشـاط مستمر لا تثنيـه النائبات ، ولا تضعفه الحادثات ، ولا ترهبه الملمات ، ولا تقعده المثبطات •

كان ذا عقيـدة ثابتـة وطيدة ــ كـم أغري حتى ينحرف عنها أو يتنصل منها ، أو يسير في الطريق التي سار عليها الآخرون •• فكان يهزأ بالاغراء ويسخر من المغرين • وظل يغذ السير في طريقه القويمة ــ لا يوقفه ترغيب ، ولا يثنيـه ترهيب • يعـرض عن كل عرض مغر ، ويصدق عن كل محاولة دائبة ــ بكل ما في نفسه من أنفة وحمية ، وترفع واباء •

وكان جهاده متصل الحلقات من العهد التركي الى العهد الفرنسي • وقد حارب العهدين ، ورجالهما ، بكل ما أوتي من قوة وشجاعة • لقد كان خصما « عنيدا » للاستعمار ــ لم يهادنه ، ولم يسالمه •• لم تلن له في محاربته قناة ، ولم تضعف له عزيمة او تلن شكيمة وظل في مكان فوق أريكة النزاهة ، والوطنية ، والعلم •• صامدا ، متحديا ، شامخا كالطود ، كالهرم ، كالصخرة السامقة ، والنخلة الباسقة ــ لها على الناس فضل الثمر ، ومنة الفيء •

وكم أوذي في سبيل كلمته وعقيدته • وكم تعرض لمثل ما يتعرض لـه رجل عقيدة ومبدأ • وكم حورب واضطهد ، وسجن وأبعد ــ كل ذلـك في سبيل فكرة يؤمن بها ، ورسالة يدافع عنها ، ووطنية صادقة مخلصة لا مجال للشك بها ، أو النيل من قدسيتها ونزاهتها •

وصاحب العقيدة الحقة •• لا يزيده الضغط الا تشبثا وثباتا ، وحماسة واصرارا •

ولم يعرفه أحـد متوانيا في الليالي السـود ، ولا

متبجحا أو متعاليا في الايام البيض •

كانت حاله واحدة •• لا تتغير بتغير الاحوال ، ولا تتبدل بتبدل الظروف •

« كان من نفسه الكبيرة في جيش

ومـن كبريـــاه في ســـــلطان »

وتذل الرسالة وتهان ، وتجرح الوطنية وتمتهن ــ اذا ساوم صاحبها عليها ، ونزل بها الى أقل من مستواها، وجعلها سلعة للبيع ، أو مطية للطمع والاغراء •

ولن تضعف « الرسالة » وتفشل ، الا اذا استهان بها حاملها ، وعرضها للنيل والتجريح •

وما أعظم صاحب الرسالة الذي يصبر على الاذى، ويتحمل الضيم • وما أحراه بالمجد والخلود • انه يدخل التاريخ من بابه الواسع العريض •

وطوف الشيخ عـارف الزين في أنحاء الدنيـا ــ يحمل رسالته في قلبه وعلى كاهله ولسانه ــ رسالة العلم، والعروبة ، والعرفان ، يبشر بها ، ويدعو لها •

ولم أره مرة في سمته الرصين ، ومظهره الرزين، وعمته التي تضفي على وجهه مهابة ووقارا ــ الا ذكرت قول « بدوي الجبل » :

لاث العمامة للجلى • ولست أرى

الا العمائـم في الاسـلام تيجانـا

وقول « جورج صيدح » :

تاج «العروبة» فوق مفرقه استوى

حينـا ، وتاج العبقرية حينا

حسـدت لآلئـه ضيـاء جبينه

سبحان من صـاغ الضيـاء جبينا

وكان الشيــخ عـارف الزين من الرواد الذين انطلقوا من لبنان يجوبون الآفـاق البعيـدة ، والاقطـار القريبة ــ مبشرين ، وهادين ، وداعين للحق والخير •

ولبنان درة في جبين العـالم العـربي ، وجوهرة مشعة فريدة ــ تشرق في سمائه ، وتسطع في صحرائه • ونسمة عليلة بليلة ، تهب مـن أرزه الخالـد ، لتنعش الدنيا العربية ، وتنشر فيها خميلة ممرعة ، وجنة رائعة ، وظلا أليفا •

كأنه في حقيقته وواقعه •• أسطورة أبدية ، وخيال مجنـح •

وكم من علينا لبنان ــ كما من الله عليه ــ بادباء موهوبـين ، وعباقرة خالدين ــ كانـوا تراثا للعروبة ، ومفخرة لابنائها الميامين •

وقد أحبت دمشق الشيخ عارف الزين ، وآثرته • وكان له فيها مقام مرموق ، ومنزلة رفيعة • وذكرت له أياديه ، وشكرت له مواقفه ، وعرفت قدره ، وتتبعت أثره • وأكبرت علمه وفضله ، وجهاده الصادق الصامت•

وما عقت دمشق جهاد مجاهد ، ولا نضال مناضل، ولا عاطفة مخلص •

ولم تكن حسرة لبنان على فقيده ، بأعظم من حسرة الجمهورية العربية المتحدة على فقيدها •

والشيخ عارف الزين فقيد العلم والادب والوطنية ــ لا في لبنان فحسب ، وانما في كل بلد عربي ، مؤمن بعروبته وقوميته •

« يدك البيضـاء لا تنكرهـا

سـود الله وجوه المنكرين »

ويوم نعـاه الناعي في لبنان ، أدرك أبنـاء العروبة الغيارى : ان العروبة قـد فقـدت ركنا ركينا ، وحصنا حصينا ، ودعامـة متينة ، ورجلا ــ كان وحـده قبيلة ، وجيشا ، وقطعة منيعة • وما أندر الرجال :

« هكـذا هكـذا ــ والا فلا لا

ليس كل الرجال تدعى رجالا »

وتوفي الشيخ عارف الزين ــ عن أبناء كرام بررة، وسمعة نقيـة عاطرة ، وماض طويل عريض ، وتاريخ مشرف حافل ، واسـم مدو عاطر ، وذكريـات ناضرة خالدة ، ومجد أدبي مؤثل ، وثروة علمية لا تفنى • ومجلـة كـانت ــ ومـا زالت ــ مدرسـة ، ومنبـرا ، وتاريخا ••

ولن ينسى الشيخ عارف الزين مـا دام في الناس من يذكر الفضل ، ولا ينكر الجميل •

عبد اللطيف اليونس

يتشبث بها ، وهو أن نقل الغريزة (الجنسي) الى طريقة عقلية خطيئة وباعث على التعاسة •

ان استعمال الكلمات التي يقبال انها بذيئة هو استجابة مباشرة للعقل • ولا يمكن أن تقود الا الى الوعي النفسي • وكان يمكن – بشيء من المرح – ان ينقذ لورنس من التشوية الذي يكثر في (عاشق السيدة شاترلي) • غير أن المرح ربما كان من صفاته أبدا •

فامتلاك المرح ربما كان يمنعه أيضا من كتابة مؤلف واسع الخيال ، رشيق البيان ، كروايته الاخيرة : (الرجل الذي مات) • وهي اعادة كبعث المسيح • ونجد فيها هدوءا وانسجاما يفضلان كثيرا ذلك السخف الكثير الذي نجده في عاشق السيدة • وقد قال (هكسلي) وهو أفضل من فهم لورنس :

(ان البقاء مع لورنس نوع من المغامرة ، رحلة الى الاكتشافات والجدة والاشياء الغريبة • لانه بسبب اختلاف نفسيته ، ربما كان يسكن عالما مختلفا عن عالم الرجل العادي • عالما أقوى وأكثر ضياء) •

وكان اذا تكلم عن العالم يقنعك به • اننا نفهم هذا العالم في كتاباته أيضا •

لقد كان شاعرا بما عرف عن الشعراء، من الحساسية المفرطة والخيال ونفاذ البصيرة • ولانه كان شاعرا ، كان عليه أن يكون نبيا • كان ذكاؤه كافيا لان يقنعه بوجود انتهاء طريقة الحياة الكاذبة العتيقة التي ازدهرت في القرن التاسع عشر في انكلترا •

وهو على عكس من ويلز ، لم يكن يرى أملا في مثالية علمية • ولذلك كان يطالب بالرجوع الى الطرق البدائية في الشعور والمعرفة (ان عقيدتي هي الايمان بالدم ، وباللحم (الانسان) باعتباره أكثر حكمة من العقل • يمكن لعقولنا ان تخطىء ولكن ما نشعره بدمائنا ونقوله ونعتبره هو دوما صحيح • ان الذكاء ليس الا لجاما • وماذا يهمني من المعرفة ؟ كل ما أريد هو ان استجيب لدمائي استجابة مباشرة لا يتدخل فيها العقل او الاخلاق او غيرها ••

أنا أتصور جسم الانسان كنوع من اللهب ، كلهب الشمعة يسطع الى الابد • والغريزة هي الضوء الذي يشع على الاشياء من حولنا) • .

وقد تمادى الى ما وراء ذلك • فدعا الى علاقة الطف بين الرجل والرجل • والى ضرورة بناء الوحدة العظيمة، التي يجب ان توجد بين الرجل والطبيعة ، وبينه وبين فصول السنة •

ان الانسان يجب ان يعيش على نغمات العالم ، على نغمات الليل والنهار • على النغمات العظيمة للشمس والقمر والنجوم • وعلى النغمات الاقل روعة للاعياد الوثنية القديمة ، والمسيحية التي هي جزء رئيسي من جسد كل رجل • ويضاف الى هذا الشعور بالتعاطف بين الرجل والعالم ، معرفته لماهية الحياة ، بكل ما على الارض من حيوان واشجار وماء •

ومعظم انتاجه الحسن في الشعر والنثر ، يختص بأعجوبة حيوية الحيوان • كما كتب في رواية (أبناء ومحبون) :

(أنا أعتقد أن النسر متدين حين يجوب السماء)•

وليس من الصعب بأن تشعر ببعض التعب مما يدعى (طنين الآلهة المظلمة) في روايته الاخيرة ، وأن تجد اهتمامه بالجنس يتحول الى تعصب أعمى •

وعلى الانسان ان يتمشى مع ميله الى المبالغة والتوكيد، ومع تفضيله للخشونة على روعة الاسلوب ، سواء بالشعر او بالنثر •

وبعد النظر الى نقاط الضعف هذه ، يبقى هنالك القدرة الخاصة على الخيال والتي بها كشف كثيرا من الاسرار المظلمة للنفس الانسانية •

سلمية　　　　　　محمد سعيد الكيلاني

الصيف والسكون

شعر : محمود صبح

سماؤك بحت بها أغنياتي … فالجمت شعري خلف لهاتي
وصيفك يحبو بطيء الخطا … ثقيل الهموم كريه السمات
وشمسك ثلج وهذا الشعاع … خيوط رجائي ولون شكاتي
وأنت سكون رهيب مميت … فلا حب ، لا كره ، لا خفقات
فمم صنعت ؟ أمن هدأة ؟ … أأنت نسجت بعظم الرفات ؟
أعيذك أنت من الله روح … وينبوع نور وبحر حياة
حنانك اين ارتعاش الضياء ؟ … جعلت لدفق الضياء صلاتي
أعيدي لصدرك عشق السماء … أعيدي لصوتك شدو الرعاة
أعيدي لشعرك حب الفضاء … لتعبث فيه يد النسمات
أحبك روحا بصدري خفوقا … لازهق روح الفناء بذاتي
أحب الربيع يفتق زهرا … ويسكب في ايكة الحب عطرا
ويلثم ثغر النسيم الورود … ويرشف من فمها العذب خمرا
ويومض وجه لوجه وميض … وترعش عين لرعشة أخرى
حياة تدب بشريان كون … وحب يرنم في الافق شعرا
حبيبة جف رواء الربيع … وأنت مع الوصل والهجر حيرى
ولست ربيعا ولست خريفا … وصمتك يلعق مني عمرا
الا تسمعين ابتهالات قلبي ؟ … الا تبصرين حروفي حسرى ؟
رفيقة ما كنت أستطيع وحدي … اشق طريقا احقق أمرا

تعالي نشق الطريق معا — فهذا الزمان يبيت شرا
الام السكون ؟ كرهت السكون — وصيفك هذا تجمد جمرا
فكوني خريفا خريف بلاء — لتعصف ريح الردى بدمائي
ويربد افقي فاعرف أني — أضعت شبابي وراء هباء
وارحل في ترهات الامور — وأبحر في اليم يم بكائي
وأترك نفسي بغير اتجاه — شراعي يسير بايدي القضاء
وأرحل نحو شواطىء موت — قلاعي نسيج من الكبرياء
وحسبي أني خبرت الحياة — لذيذ السرور ومر الشقاء
وحسبي أني تدفقت روحا — وأغرقت ذاتي بموج الضياء
والبست نفسي ثوب الفضاء — ولم تنطوا النفس خلف رداء
وحسبي أني كرهت الجمود — جمودا يمد حبال الفناء
ويشنق في وميض الحياة — ببطء فيصر عني ألف داء
حبيبة صمتك هذا مخيف — فاجمل شيء جديد عنيف
وأروع ما لحن العازفون — أغاني تهتز منها الصفوف
وأبدع ما نظم الشاعرون — سطورا تحرك فيها الحروف
وأجمل ما نحت الراسمون — خطوطا لها في العيون رفيف
حبيبة لا تغضبي ان كرهت — بك الصيف ان سكونك صيف
وانني لاعرف منك بقلب — يكبل فيه التحرك زيف
فياليت قلبك بعد خفوق — بقلبك كان يرفرف ريف
فاين التموج في مقلتيك ؟ — وأين بصوتك روح شفيف ؟
حبيبة لا تعتبي ان هجرت — فحسبي من الحب ذكرى وطيف
كرهت السكون وعفت الجمود — فاما ربيع واما خريف

محمود صبح
من « أسرة الادباء الجامعيين »

دين القرابة .. والمحبة

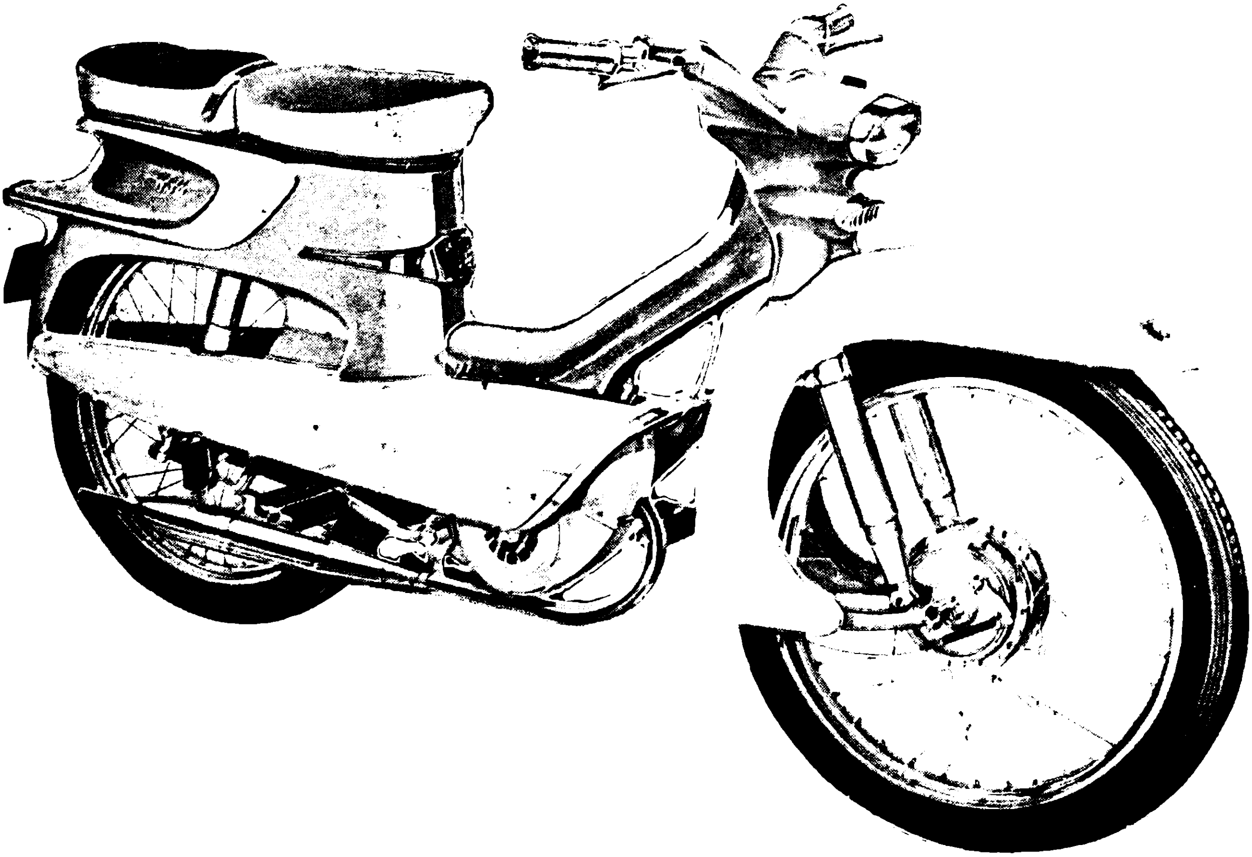
(مهداة الى الشاعر نديم محمد ، بمناسبة مرضه الاخير)

شعر : جميل حسن

لي عند جرحك دمعتان .. ومحجر أضننته أوجاع تغيب .. وتحضر
نزت مناطفه دما .. فتحجرت فيه العروق ، وكيف لا تتحجر ؟
وهي التي حبست على غصاتها والدمع أقتله النجيع الاحمر
يا شاعري !. يا صورة في خاطري غنيت بأبهى ما يخط مصور
لم أبك للجسد الذي تنتابه في كل آن علة تتكرر ..
ولقد علمت بانه لو يفتدى لفديته بأعز ما يتصور
وعلى سريرك كيفما مثلته قلبي يرف ..يلوب..يصمت..ينظر
لهفان مقهورا .. يحوطك خاشعا متصدعا ، ان القضية تقهر
وتمد أعصابي على أطرافه سورا من النجوى يطول ويقصر
وحديث ما بيني وبينك شيق خبر حفظناه ، وضاع المخبر
في مبضع الجراح بعض فصوله والبعض شلو زائغ .. متحير
يا واهبا دمه لكل رمية شرفا .. وان تفخر فمثلك يفخر
آمنت ان المكرمات رسالة فمضيت لا تنحاز .. لا تتعثر
تهدي شباب الجيل خير هدية صدق الرجولة قوة لا تقهر
وتنيه بين الناس روحك رافعا شاراته البيضاء ثم .. ويخطر
ويقول قلبك كلما هدهدته وسألته عن بعض ما يتذكر :
أرضيت في الآدمية .. انها كنزي الثمين .. وارثي المتخير
وطريقي القدسي قد قعدوا به فكأنهم فوق الطريق تسمروا

ولهـم علي ضريبـة « مفروضة » فكأننـي ذميهم ، لا أؤجـر ٠
صفر الوجوه ٠٠ ألست تعرفهم بهـا شر البلايـا السود وجه أصفر
هزوا المنابر كلها ٠٠ فتخلعت من تحتهم ، لـم يبق فيهـا منبر ،
وتمـايلوا تيهـا كـأن بيـانهم خمـر معتقـة تشـم فتسكـر
وتجمعوا فتآمروا ٠٠ وتفرقـوا فتكاثـروا ٠٠ وعلى الوقيعة أضمروا
وأذاع مـا لهثوا بـه تاريخهم قصص تلملم هـا هنا ٠٠ وتسطـر
وتمر عند العابثين ٠٠ فتشتهي تـروي فتعجبهم لكـي يتنـدروا
ستعيش قصتنا لتحكى بعدنـا ويظل يذكرهـا القـوي فيسخر
ونظل نحن ، كمـا بدأنـا ، لوحـة من فطـرة الله اصطفتها عبقـر
بـدأت مـع الالهـام وحيا خالصـا ومـع الحقيقـة نبعـة تتفجـر
مرقت مروق السـهم بـين جباههـم فتحيروا ٠٠ وتعجبوا ٠٠ واستكبروا
أما الذي عـرف الحقيقة كلهـا فيزم للشفتين ٠٠ او يتحسـر
عجبا ٠٠ أيخرسني الزمان ، ولم أزل أطوى مـع الفجر الجميل ٠٠ وانشر
يـا هـؤلاء ، أليس بينكـم فتى ؟٠ عف الضمير يتـوب ٠٠ أو يستغفـر
ويعيـد تجربـة العصور قصيدة عصماء يسمعهـا الغبـي فيسحر
يا أمـة فقـدت أعـز تراثهـا ما آن للغاوين أن يستعبروا ؟
درب العروبة غـير درب ، فاسلكوا درب المحبة ٠٠ ثم لا تتأخروا
سبقتكم الدنيا ، فقيل بشانكم تعمى البصيرة ، ثم يعمى المبصر ٠
يا مشرفين على المواكب !٠ ان لـي بـين الخيول يلوح مهر اشـقر
في جيده نسب الرمـال ، وفوقـه بطل مـن الصحراء شهم اسمر
سـلك السـبيل المسـتقيم ، وقادنا لسبيلنا ٠٠ فتفكـروا ٠٠ وتدبـروا
ياناس !٠ شق لنا الطريق جمالنا قوموا اسمعوا قصص المحبة وانظروا

سلقين ــ جميل حسن



الدراجات النارية الشهيرة

N S U
T T

منتجات مصانع نيكرس اولم للسيارات الالمانية

سكوتر وموتوسيكلات

بشروط طيبة للمؤسسات الرسمية :

لجميع الاستعلامات اتصل بمنظمة خطاب الزراعية : هاتف ٢٣٣٠١ ـ ٢٣٣٠٢

دمشق ـ ص . ب رئيسي رقم ١٠٠٠ ساحة الشهبندر ـ شارع ركن الدير

كتب و قراء

وداعا يا أفامية

بقلم : محمد سعيد فندقجي

لم أكن أعرف شيئا عنه الا من خلال ما سمعت وما قرأت ثم كان لقاء ! وفوجئت أنه غير ما كنت أتوقع ، يلتهم كل شيء تقع عليه عينه ، نظراته التي تفتش عن المجهول لتختزنه وتبحث عن الخفايا لتودعها مواطن الاسرار . يتكلم بكل مسامة من مسامات وجهه ويلائم ما يريد بحركات تنبيء دون شعور منه عن انفعالية عنيفة، في أعماقه ثورة ، وفي مخيلته أشباح وصراع وفي لسانه بوح ما يزال برعما فاذا تفتح في المستقبل فسيكون له شأن أي شأن .

عرفت أنه صاحب « نهم » باكورة انتاجه و « قدر يلهو » و « قوس قزح » هذه الروايات الثلاث التي كان لها شهرتها آنذاك يوم صدرت ، وأريجها وعبقها . ثم نفدت من الاسواق وتوارت . وخلف قراءه وراءه يطلبونه فلا يجدونه ويفتشون عنه دونما طائل . وظن الناس أنه خبا ظله واقفرت دوحته حتى اذا كان اليأس يأخذ بتلابيبهم خرج اليهم وبيده روايته الرابعة « وداعا يا أفامية » يلوح بها للناس ويلقي عليهم تعاليمه ومفاهيمه . كان اذا يتعبد في غار فنه ، ويستلهم قريحته ، ويستنبت أرضه .

وقرأها الناس وفتشوا عن كل معنى وراء سطوره وكلماته ، وخرجوا منها وفيهم المعجب بها المعترف بقوتها وابداعها ، وفيهم المنكر لها اليائس من فنها وجماليتها . وكان بعضهم جريئا في حكمه فأعلن رضاه او سخطه بين الناس . وشحذوا اقلامهم فنقدوا ما طاب لهم أن ينقدوا وأظهروا اعجابهم او تنكرهم في الصحف وكانت الضجة التي لا بد لكل انتاج قيم أن يثيرها .

وأعجبت كل الاعجاب بهذا النقد وأدركت أننا سائرون الى الكمال لان النقد وسيلة هذا الكمال ولولا ذاك لاستمر الانتاج دونما رادع . وانظر بعد ذلك الى السخف والهذر ولكن الذي آخذه على بعض هؤلاء النقاد أنهم كانوا متهجمين حيث لا يجب التهجم متهورين في الاحكام حيث يجب التروي والتفكير ووضع الامور في نصابها .

ورحت أفتش بدوري بين صفحات هذه الرواية عما وراء الاسطر والكلمات وعما يريد الدكتور شكيب أن يعلن عنه ويبشر به غير القصة والاسلوب ، قرأتها للمرة الاولى فأعجبت بها اعجابا انفعاليا يأخذ مادته من الاحداث والتشريد ، وصور الحب ، وروعة الوصف ، وقوة العاطفة ، وعنف التحليل . ولست أدري لماذا عدت اليها مرة أخرى وبنفس القوة والايجابية ؟ غير أني عدت واستنفدتها . ولكنني خرجت هذه المرة بالتجربة ، التجربة الحية الواعية التي تعيش في حنايا الجابري وتفرض عليه ذاتها وترغمه أن ينهج ويسلك هذا السبيل ويسير في هذه الدرب .

تطلع حوله فوجد أن الحياة تمور بالاضطراب

وتعج بالتناقض وتمتلىء بالتباين والاختلاف فهي لا تدع أمرا يسير على طبيعته الا وضعت فيه يدها وعملت على تهديمه وقلبه رأسا على عقب وربما كان ذلك لاتفه الاسباب وأقلها قيمة وشأنا . وهذا ما حدث لافامية هذه المدينة التي وصلت الى أوج عظمتها وقوتها وامتدادها وروعة جمالها . ثم ما لبثت أن تقوض بنيانها وأصبحت مرتع الوحش والطير . تستفيها السافيات وتزيد الارياح فيها غطاء جديدا من الرمال كلما عصفت . ولعبت بها أنامل الجن وهي الآن كلمة في فم التاريخ يلتقطها الذين يبحثون في مواطن الكهوف وبواطن الارض .

والبرتو سكاربا هذا الفنان الذي يغنى في لوحاته ويهيم في خطوطها وظلالها يجد في الفتاة البدوية«نجود» ضالته ومنتهى أحلامه فيعلق بها ويتخذها نموذجا ينقل عنه ويصور فتنته ويتمنى لو يستطيع أن يضمها الى صدره . ولكن ما اخذه على نفسه أمام البعثة الاثرية وما ألفه من عادات هاتيك المنطقة يمنعه أن يحقق ما يريد ، فكان يكتفي منها بالنظرة العجلى والبسمةالجذلى، وكانت تكتفي منه بمظاهر هذا الحب البريء الذي يظهر على قسماته كلما اقبلت عليه وسارت علاقته معها هينة لينة ، غير أن هذه العلاقة ما تلبث في لحظة من لحظات الانطلاق العاطفي والانفعال أن تنقلب الى معركة يخرج منها اسكاربا جريح القلب كسير النظرة واذا الحلم هول واذا الجنة صحراء مقفرة واذا التمثال شريد تائه لا يعرف مصيره .

وسعد هذا الانسان الذي سكن الى نجود كما سكنت له وأحبها كما أحبته وتوله بها كما تولهت به ، وعاشا عيشة راضية ترفرف عليهما السعادة ويظللهما الهناء كانهما لحن في سمفونية الزمن ، وفجأة يتقوض البناء دونما سبب ظاهر وينقلب العرس الى مأتم ويتحول الحب الى فراق لا لقاء بعده .. هكذا تتلون الحياة فكل بناء الى هدم وكل سعادة الى انتهاء وكل حب الى ركود لا تقوم حياة الا بانقضاء حياة ولا يستوي عيش الا على انقاض عيش . تلكم هي حلقات الحياة بوجوهها المتعاقبة المتجددة الخالدة لا تعرف الفناء .

وهذا أول مبدأ من مبادىء وداعا يا أفامية . فاذا فتشنا عن المبدأ الثاني وجدنا أن الناس جميعا في هذه الارض يعيشون مأساة واحدة لا فرق بين ربيب باريس وربيب طوكيو أو واشنطن كلهم ينصهرون فيهذهالبوتقة ويعيشون نفس المسرحية وذات المفاهيم ، الطبيعةالانسانية واحدة عند البدوي في الصحراء وعند جوزيت بروتنير الفرنسية عضوة البعثة الاثرية . وقد تجد عند أبناء البيد والقفار مفاهيم انسانية لا تقاربها مفاهيم أهل السين ولا يمكن أن تصل اليها من حيث العنف والصدق فتحب منهم هذا النوع من الحياة وتود لو تبقى بينهم وتعاشرهم وتكون أحد أفرادهم . ولكن للصلات حدودا فجوزيت بروتنير فرنسية وأبناء أفامية عرب وهناك فواصل وحدود ، ولكن من الذي اخترع هذه الحدود ؟ ومن وضع هذه الفواصل ؟ ان الناس جميعا « ابناء حلقةواحدة في سلسلة النشوء البشري ، ان صحت نظرية النشوء والارتقاء ، وما كان بعضهم فوق بعض طبقات الا في تفاوت الفرص واختلاف الظروف ، وانهم لذلك اخوة ، وما على الاخوة الا التعاون الاكمل تجاه الطبيعة القاسية لتخفيف ويلات الحياة عن كاهل هذا الانسان البائس الذي لا يدري أي شيء يراد من خلقه » واذن يدعو الدكتور شكيب الى الدولة العالمية ، لا فوارق ولا حدود، لا فواصل ولا ميزات ويكتبعلىبطاقة «جوزيتبرونتير» مواطنة عالمية . هذه الدعوة التي نادى بها كثير من علماء الاجتماع وحاولوا أن يجدوا لها قوانين ومبادىء وأسساء وأن يخترعوا لها لغة تفاهم تكون الركن الاول في هذه الدولة .

أما المبدأ الثالث في هذه الرواية فهي نهم الانسان هذا الانسان الذي يطلب كل شيء لا لحاجة وانما ليجمع ويختزن ، ويركض وراء كل لذة بأنانية مفرطة وجشع متكالب وشراسة غريبة كل الناس لا يريدون لانفسهم بل كل من يدب على الارض حتى الحيوان الذي جرب أن يكون له حظ من نجود ، ندى هذه الانسان الصديقة

التي أحبتها نجود وأخلصت لها وأعطتها كل ما تريد لتحافظ على صداقتها وتبقي على مودتهـا ثم لم تلبث ـ حين تمكنت ـ أن غدرت بها وأظهرتها بالمظهر الدنس الآثم • سكاربا يريدها لنفسه يريـد أن يلتهمها بعينيه بيديه بكل شيء وهربت منه وهي تلعنه بعد أن شجت رأسه ، وابن شيخ القرية هذا المسخ الذي تعوذت نجود من شره وكانت تخاف من نظراته فتحاول التهرب منها فاذا استدارت بعد قليل الفته واقفايرصدحركاتهاويشربها بعينيه كهر متلمظ يبعث صبيب نظراته على عصفور يتفلى، حتى شيخ القرية نفسه يتحين الفرصة وينسل من الباب الاخرس انسلالا يفضحه ضوء القمر ويلم بها غشيان من فعلته فتصرخ : قدر قدر قدر كل الحياة قدر ، وتحمل تابوتها على رأسها وتسير على غير هداية هكذا تسيرالامور في أعماق الحياة والانسان وكلها باطل الاباطيل •

فاذا بحثنا عن المبدأ الرابع في رواية « وداعا يا أفاميا » وجدنا ايمان الجابري بالقدر هذا القدر الذي يتلاعب بمصائر الناس دون أن يكون لهم يد في تبديل أو تغيير ، وهل يستطيع هذا الانسان القميء أن يغير من ارادة هذا القدر ؟

ولكن ما هو هذا القدر ؟ ما تعليله ؟ كيف يلعب بأنامله وأية قوة تسيره ؟ كل ذلك سر لا يستطيع أن يعيه الانسان •

« ويضرب سعد جبينه براحتيه الداميتين :

ـ نجود ! نجود !

هل ساءها منه ما كاد يسفحه من حيائها ؟

ـ لكنها لم يبدر منها بادرة تنم عن ذلك

ـ لا ، لا قد ساءها شيء آخر

ـ أم أن باختفائها سرا لا يعيه

ـ لقـد أيقن أن قضاء أقـوى منه استأثر بانثاه بامرأة حياته بحاملة ذراريه عبر الاجيال • ولا حيلة له في رد ما لا مجال لرده • »

والناس مسيرون لا اراديون تفرض عليهم الحوادث فيستهلكونها ولا يستطيعون ردها أو الثورة في وجههـا والنهاية أبدا للدموع •

هـذه هي المبادىء التي أرادها الدكتـور شكيب الجابري من روايته الرابعة وداعا يا أفامية ، وقد يكون هناك غيرها نثرها هنا وهناك في تضاعيف الرواية ولكن الاغلب هو أن ما ذكرته كان يستأثر بنفسه ويعتلج في صدره فاذا أضفت ما أورده من طبائع العرب وشممهم وشجاعتهم ، والمعلومات التاريخية والجغرافية والعلمية عن تلك المنطقة أدركت قيمة « وداعا يا أفامية » وأدركت موهبة الجابري في قصته وقوته في انطلاقات خياله وابداعه الابداع الخلاق في الوصف ، وما أردت التقريظ أبدا وانمـا هي الحقيقة التي أريـد أن أقولها صريحا كل الصراحة ففي أسلوبه قوة لا تعادلها قوة ووعي كما يريد أن يقول لا يصل اليه وعي ، ينساب بك هينا مع مجرى الحوادث ثم يبدأ بالعنف شيئا فشيئا فتشعر كانك تعانيها أنت وكأن القصة قصتك أنت عشت أحداثها وانفعالها وتجربتها فترتفع ارتفاعها وتهبط هبوطها حتى اذا انتهيت من الفصل شعرت أنك خرجت من حادثة أنت بطلها لتعود الى حادثة أخرى تمثل فيها نفس الدور وهكذا حتى تنتهي •

واذا قدر لي أن أضع الجابري في مكانه فانما أضعه في مصاف كبار الكتاب لان وداعا يا أفاميا بما تحمله من قلق وحب وحرمان وشراهة وتشريد وفن في الوصف وروعة في الاسلوب وصفاء في الكلمات ، لا تقل روعة عن أعظم انتاج روائي ظهر حتى الآن ، واذا كانت قصة « الشيخ والبحر » التي نالت جائزة نوبل تمتاز بالصراع بين الانسان والطبيعة وانتصار الانسان ولو شكلا على هذه الطبيعة فان وداعا يا أفاميا تمتاز بنفس النوع من الصراع يضاف الى عوامل الطبيعة عوامل هذا الانسان الذي لا يقل قسوة وشرها عنها •

وما آخذه على الدكتور الجابري هو حث نفسه في مجرى الرواية ففي كل صفحة له تعليق وفي كل فصل له رأي يظهره ، ونظرة يبديها ولو كانت على سبيل العلم وهذه ناحية له العذر كل العذر فيها لان دراسته العلمية

الفنان والارتفاع بالذوق الجماهيري

من الطبيعي جدا الا يتلاءم الفنان مع الوسط المحيط به والا يستطيع القيام بمهمته ، التي تقوم بالدرجة الاولى على الارتفاع بالذوق الجماهيري الى درجة عالية . لانه دوما يواجه كفنان تناقضا داخليا مع نفسه وتناقضا خارجيا بالنسبة للناس ، وقد يكون خطل الرأي أن أقسم شعبنا الى طبقات بالنسبة لتذوقهم الفني ، ولكن هذا موجود ، فمنهم من يميل الى الموسيقى القديمة ، ومنهم من يميل الى الخليط العجيب في موسيقانا الحديثة وقلة من المثقفين تتعصب للموسيقى العالمية ، وقسم يستقبل كل موسيقى تقدم اليه بحماس على أنها أشياء يجب الانسجام معها دائما .

وفي رأيي وقد يكون هذا الرأي خاطئا أو صائبا بأن كل عمل فني ، أدبيا كان أو فنيا كالرسم والتمثيل والموسيقى وغير ذلك ، يجب أن يكون موجها يخدم غايات الامة وأهدافها ، وأن لا تكون أهداف الفن والادب فحسب ، والاصح أن نسمي هذا الفن وذاك الادب عند ذاك ، فنا برجوازيا لا يخدم الشعب .. الشعب التواق الى الانعتاق من سلاسل الفن الترفيهي ، لان الجمهور يريد فنه المنبثق عنه والمعبر عن حياته وغاياته وآماله وأهدافه في الحياة ، وهذا الفن الذي ذكرت لا نعثر عليه اليوم في الموسيقى التي يقذفها المؤلفون في دور الاذاعة ، وقد يخطر لاي انسان أن يسأل لم لم تعش الحان سيد درويش حتى الآن ولم لا تقبل عليها جماهير شعبنا ..

القضية لا تحتاج الى ايضاح وأعتقد أن الاخوين رحباني فيما قدماه حتى الآن من اخراج جديد لالحان سيد درويش خير دليل على خلود الحانه ، وخير دليل أيضا في تذوقنا لها لانه استطاع عن طريق موسيقاه الارتفاع بمدارك الشعب الفنية ولا أريد أن أعدد الامثال فالحان (الضايعية) (وزوروني) (وطلعت يا محلا نورها) وغير ذلك مما يصعب حصره خير دليل على ذلك .

هذا مثال من عندنا ، والامثلة والشواهد عند الغرب كثيرة ، فالاغنية الروسية والموسيقى الروسية الى ما قبل عهد جلينكا ، كانت مهملة ، وكانت الطبقة الارستقراطية وحتى البرجوازية تقول في الاغنية الروسية وفي الحان جلينكا بالذات (بأننا لن نجشم أنفسنا في الاستمتاع الى الحان جلينكا هذا والا وجب علينا أن نستمع الى الحان فلاحينا وعامة الناس عندنا) .

ولكن ما هو مصير الحان جلينكا ورفاقه الكبار ؟! لقد وقفت هذه الالحان على قدميها وأثبتت وجودها في عهود القياصرة ، وبقيت حية حتى الآن تنبض في قلوب الملايين من الشعب الروسي لانها كانت أغانيه وألحانه ، ولان مؤلفيها لم يضعوا شيئا سوى انهم وضعوها في

تفرض عليه هذا النوع من التعليق والرأي .

أضف الى ذلك كثرة أسماء النباتات والحيوانات والجزر التي يذكرها كأنه يريد أن يتمطى أمامنا ويظهرنا على قوة حافظته وسعة اطلاعه « كالآلىء » و « الزقة » و « مغزل الكردي » والقصب والحلفاء والاثل والبردي والنيلوفر ، وجزيرة الجيد والرصيف والقريم والخندق والشجر ، كل ذلك في بضعة أسطر كما آخذ عليه هذا الاسلوب الخطابي الذي يتخذه أحيانا للسخرية وأحيانا أخرى للوعظ والارشاد وهذا ما لا يتلاءم مع الروح الروائية في هذا العصر .

وأملي كبير أن لا ينقطع الجابري مرة أخرى عن الكتابة لاننا بحاجة اليه بحاجة الى روحه المنفعلة وقصصه الممتع الجيد .

القالب الفني الذي يجب أن تكون عليه ليرتفعوا بذوق الجماهير اليهم •

من هذا استطيع أن أقول بأن الفنانين عندنا لم يدركوا اللهم الا قلة لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة • لمن يوجهون فنهم ؟! لجماهير الشعب ، للمثقفين ، لهواة القديم ، لهواة الحديث ، للمترفين ، للذين لا يفهمون الفن ويقدرونه حق قدره ؟!

اني انظر الى جهودهم فأراها تذهب هباء في دوامة الفكر •• في دوامة التيه ، لان الزمن يسير والعلم يتقدم والفنان في بلادي ـ وأي فنان في بلادي ـ يقف متلبدا في مكانه دون أن يعرف مكانه ، ودون أن يعرف جمهورنا ودون أن يعرف ماذا يبغي هذا الجمهور ، ودون أن يعرف كيف ينمي ذوق الجماهير ويرتفع بها الى المكانة اللائقة به كشعب يشق بسواعد الايمان الطريق نحـو الشمس التي كادت تغرب عليه •

أنا ضد من ينـادي بأن الفن يجب أن يعلو على الشعب ، لان الشعب هو مصدر كل قوة والفن من هذه القوى لان الفنان الذي يؤمن بمثل هذا ، هو في الواقع يروج عن دون قصد لفن برجوازي ، والفن كما هو معروف لا ينفصل عن الحياة ، ولانه لا ينفصل عن الحياة لا يجب أن نفصله عن الشعب الـذي هو قـوة الحياة ونموذجها الابدي •

ان شعبنا يصفق ويهلل لالحان الاهازيج لانه يمس في أعماقه بأنه اعطى فنانه شيئا ، ولكنه لم يعطها هـذا الشيء كاملا لذلـك يبقى عامل الشعور بالنقص كاملا عنده ، لان الفنان لم يقدم لهم ما يبغون منه تماما ، وعلى سبيل المثال أذكر نقاشا جرى أمامي بين الدكتور القاص يوسف ادريس والموسيقي الشاب صلحي الوادي وكان ذلك قبل سنوات •

ان صلحي الوادي يملك ثقافة كبـيرة ، ويؤلف موسيقى لا يؤلف نظيرها أحد في الوطن العربي وعيبه الوحيد ـ هذا قبل سنوات ـ في أنه لا يتلقى تأثيرات العالم الخارجي المحيط به لانه لا يغادر غرفته اطلاقا ، وعندما اجتمع اليه الدكتـور ادريس ، اصطدما مباشرة بعـد نقـاش قصـير وجعلت اراءه التي تنم عن فرديته ـ حينذاك ـ الدكتور ادريس يصيح به منفعلا : اذهب يا أخي •• انزل سوق الحميدية ، تجول في باب الجابية ، اختلط بالناس ، افهم افكارهم واراءهم ثم عد الى غرفتك هذه واكتب موسـيقاك •• اكتب الموسـيقى التي ترتفع بالذوق الجماهيري •

ولا ادري ماذا كان تأثير ذلك على الموسيقى الشاب غير أنني لمست مؤخرا من خلال موسيقاه الالحان الشعبية التي صاغها في قالب فني عالمي بطريقـة تشبه طريقـة الموسيقي الكبير بللا بارتوك •

والخلاصة يجب على الفنانين كي يتمكنوا من رفع مستوى شعبنا فنيا ، أن يذهبوا بين الجماهير ، أن يهبوا أنفسهم اليها دون قيد أو شرط ، يجب عليهم أن يراقبوا ويدرسوا الاشكال المختلفة للحياه وأن يتلقفوا كل شيء ليهبوا هذا الشعب ما أخـذوه منه بطريقة علمية ترتفع بذوق الجماهير فنيا •

دمشق   صميم

أخبار عربية وعالمية

اعداد : رباح شيخ الارض

* يحتفل المحيط الثقافي في الامة العربية في الثلاثين من كانون الثاني بالذكرى الثالثة عشرة لوفاة أبرز أدباء العربية في القطر العربي السوري وأهم الروائيين التاريخيين والصحفيين المتأدبين والرحالة المحدثين والناثرين المتشاعرين من العرب في العصر الحديث الاستاذ «معروف الارناؤط» وسننشر في العدد القادم مقالة عنه •

* صدر في « بيروت » هذا الاسبوع الكتاب الرابع عشر للدكتور « عبد الله عبد الدائم » المختص بالدراسات القومية والنفسية ، وكان قد أصدر في السنوات القليلة الماضية عدة كتب ترجمة من بينها « الضحك » و « منبعا الاخلاق والدين » للفيلسوف الفرنسي «هنري برغسون» و « الجامع في التربية العامة » للكاتب « ايبر » ، كما ألف « المدخل الى التربيـة التجريديـة » و « القومية والانسانية » • و « دروب القومية العربية » • وأصدر في العام السالف « تاريخ التربية » ، عدا المؤلفات الاخرى المترجمة والمؤلفة بالاشتراك مع آخرين • وانا لنهنىء أنفسنا ونهنىء الدكتور « عبد الله » بهذا النشاط الجم والحيوية الفعالة •

* نشرت مجلـة « أبولـو » البلجيكية خبرا عن المجموعة الكاملة لآثار «الدكتور عبد الرحمن الشهبندر» التي حققها رباح هتلر شيخ الارض وستنزل الى السوق العربية في غضون الشهرين القادمين بمجلدين يقعان في خمسمائة وألف صفحـة يحويان أشـعاره وخواطره ومقالاته ومذكراته وخطبه ورسائله وترجماته مع ملحق يحوي ما ينوف عن خمسين قصيدة وبحث في « مرآة الشهبندر عن معاصريه » ويقدم الاستاذ أكرم الحوراني للمؤلف بتصدير مسهب يتضمنه انطباعاته عن الزعيم الشهيد الحي •

* أصدرت « ماريا آنخاس غالينو » مؤلفا قيما عن « تاريخ التربية » في « مدريد » • وهو أول كتاب من نوعه يصدر باللغة الاسبانية • ولهذا المؤلف أهمية خاصة لانه يطرق جميع جوانب الموضوع • وصاحبته عالمة مجهدة تلك بصيرة « كونفو شيوس » الناقدة • ومنهج « أرسطو » العقائدي ، على قول النقاد الاسبان •

* افتتح الاستاذ « خوان توسكيتس » أستاذ التربية في كلية الفلسفة والآداب في جامعة « برشلونة » سلسلة محاضراته عن « اتجاهات النتاج الجامعي ومناهجه » وقد تحدث عما يجب أن يعتمده الجامعـة من طرائق على ضوء الدروس التي قدمتها •

* ارتفـع الاسـتاذ « دون خواف ذا راغوتيا » العضو الاكاديمي المعروف بدراساته الفلسفية الى سدة مجلس النواب •

* افتتح معهد « بالميسيان » الفلسفي دورته الحالية بمحاضرة للاب « خواف رويج فيرونيللا » بمحاضرتين تمهيديتين تتعبهما سلسلة من المحاضرات حول فلسفة النفس ، كما ألقى الاستاذ « خوان توسكيتس » محاضرة حول « المذهب الشخصي في التربية » • وسيقدم الدكتور « خوان فينتوسا أجيلار » مجموعة محاضرات في الاخلاق ، كما سيحاضر كل من الاب « يجيل بيلستران » حول « الشخصية في علم النفس » والدكتور «خوزي كاتاريل» حول « تاريخ الفلسفة المعاصرة » •

* صدرت « دراسات في فقه اللغة » عن جامعة « كارولينا الشمالية » •

* أصدر الاستاذ « انطونيو توفار » المعروف بنشاطه الجم ودراساته عن حياة « سقراط » وكتاباته النقدية وترجماته « لارسطو » و « افلاطون » كتابا جديدا أسماه « أنسايوسى يا مبيريجريناسيونس » •

* ألقى الدكتور « ديبفو كاتالاف يا مينيدس بيدال» محاضرة شيقة في جامعة «لاتمونيا» بالاسبانية حول « الانتصار في الحب » في أدب « قشطالة » في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي • كما تحدث الدكتور « فرناندو كاريتر » حول « ثلاث قصص عن اسبانية ••»

* احتفلت اذاعة « برشلونة » بذكرى موت الاديب « خوان ما راتحال » •

* افتتحت اوركسترا «برشلونة» البلدية برنامجها الفصلي الجديد الجغل عزفت فيه سنفونية « بتهوفن » الخامسة المعروفة باسم « القدر يقرع الباب » ، وسمفونية للموسيقي « أرياجا » وسوناتا للموسيقي « روسيل » •

* وصل ثمن الصورة الواحدة للفيلسوف الفرنسي الراحل « ألبير كامو » الى خمسين وأربعمائة وألف فرنك فرنسي في مطلع هذا الشهر •

الفهرست

صدر حديثا عن دار الثقافة في دمشق

المعذبون

رواية

للقاص العربي

محمد الخطيب

تجدونه في سائر المكتبات العربية